

عود الند

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهواري

العدد الفصلي 38: خريف 2025

بحوث ونصوص متنوعة
ترجمات ومختارات



المحتويات

- 3 عدلي الهواري
كلمة العدد الفصلي 38: المفاوضات والنية الحسنة
- 7 فراس حج محمد..
رواية اللّغة واستقراء مصادرها
- 13 د. نادية هناوي ..
سردية التسجيل بين الجبرتي وصلاح عيسى
- 21 جيهان أبو لاشين ..
حرب في رأسي
- 23 إيناس ثابت .
لحن الطبيعة
- 27 فنار عبد الغني..
أحلام من الجنوب
- 30 زكي شيرخان..
ميته
- 39 ترجمات: مؤسسة دولية تعلن رسميا وجود مجاعة في غزة ..
نصف مليون نسمة دخلوا مرحلة المجاعة

- ترجمات: مؤسسة دولية: المجاعة في السودان أيضا 43
ملايين يواجهون المجاعة في السودان
- رحيل المناضل عبد الجواد صالح 47
مناضل ملتصق بالشعب والأرض
- رحيل الفنان الموسيقار زياد الرجباني 48
ظاهرة موسيقية وسياسية منحازة للشعوب
- رحيل الروائي صنع الله إبراهيم 50
الروائي الذي رفض الجائزة
- مختارات: إحسان النمر 52
يوم استنجدت يافا بجبل النار
- مختارات: طلال شتوي 55
زمن زياد: قديش كان في ناس
- إصدارات جديدة: فراس حج محمد 59
الصوت النديّ: تأملات في الأداء والأغاني
- ناجي العلي: موقع وأرشيف 60
لوحات ما قبل الاغتيال عام 1987
- الصفحة الأخيرة: د. عدلي الهواري 61
كيسنجر والدبلوماسية وتوازن القوى

عدلي الهواري

كلمة العدد الفصلي 38: المفاوضات والنية الحسنة



المفاوضات وسيلة بديلة للتقاضي أو النزاع بين طرفين أو أكثر. وهي وسيلة تلجأ إليها الدول والشركات والأفراد. وأول مبادئ المفاوضات توفر حسن النية بين أطرافها. والغاية منها الوصول إلى اتفاق مرض لأطرافه.

لا تكون المفاوضات في الواقع دائماً بين طرفين لديهما أوراق قوة متكافئة، وهذه

الحقيقة تعكس نفسها على الاتفاق المحتمل بين أطرافه، فيحصل من لديه أوراق قوة أكثر على مكاسب أكبر.

على سبيل المثال، بعد انتخابات نيابية في بلد ما، وعدم حصول حزب واحد على أغلبية تمكنه من تشكيل الحكومة، تحدث مفاوضات مع أحزاب أخرى لتشكيل حكومة ائتلافية، فتمنح أحزاب أخرى حقائب وزارية مقابل المشاركة في ائتلاف قادر على تشكيل حكومة برئاسة الحزب ذي العدد الأكبر من المقاعد. المفاوضات بين أرباب العمل والنقابات العمالية والمهنية تكون عادة حول مطالبات بزيادة الأجور وتحسين ظروف العمل مثل تقليل عدد ساعاته، أو زيادة أيام الراحة، أسبوعياً. صاحب العمل موقفه قوي لأنه يملك القدرة على

التوظيف والاستغناء عن خدمات الموظفين. الإضراب عن العمل يحرمه من الدخل الذي يحصل عليه أثناء فترة الإضراب. لذا النقابة لديها ورقة قوة، لكنها تعتمد على مدى كثافة العضوية النقابية في مؤسسة العمل، فإذا كنت النسبة عالية، يكون الإضراب عن العمل مؤثراً، بينما العضوية الضعيفة لن تجعله مؤثراً.

أحياناً يكون الوضع الاقتصادي في بلد ما متردياً، فيأتي ممثلو رب العمل إلى المفاوضات ويشيرون إلى أنه ليس بمقدور المؤسسة أن ترفع الرواتب هذا العام. في حال كهذه، تتحلى النقابة بروح المسؤولية وتبدي استعداداً لعدم المطالبة بزيادة هذه العام مقابل شيء، وقد تكتفي بوعدهم عدم الاستغناء عن موظفين خلال العام المشمول بالتفاوض. هذا مثال على مفاوضات تتم بنية حسنة.

المفاوضات ليست كلها مباشرة، أي جلوس أطرافها وجها لوجه. بعض المفاوضات تكون غير مباشرة، ولهذا النوع أكثر من صيغة، فبين الدول قد يكون الوسيط دولة أخرى لعدم وجود علاقات دبلوماسية بين البلدين، نتيجة خلاف جديد أو قديم. أحياناً تكون هذه المفاوضات سرية، واكتشافها قد يؤدي إلى ردود فعل سلبية في البلدين المعنيين أو أحدهما.

ومن المحتمل كثيراً أن المفاوضات السرية تكون لإعداد طبخة سامة لأحد أطرافها، أو لطرف آخر يجري التآمر عليه. من المفاوضات السرية تاريخياً تلك التي جرت بين فرنسا وبريطانيا (1916) لتقاسم مناطق في العالم العربي على حساب الإمبراطورية العثمانية وشعوب المنطقة.

من أشكال المفاوضات غير المباشرة وجود طرفي التفاوض في مكان واحد ولكن في غرفتين منفصلتين، ويؤدي طرف ثالث متفق عليه دور الانتقال بين الغرفتين، حاملاً من كل طرف مقترحاته أو رد طرف على مقترحات الآخر. وفي حال تبلور صيغة اتفاق، قد يجلس الطرفان معاً لوضع اللمسات الأخيرة على الاتفاق والتوقيع عليه.

من الأمثلة الواقعية على ذلك، مؤسسة في بريطانيا يلجأ إليها طرفا المفاوضات

لإنقاذها بعد عدم تمكنهما من التوصل إلى اتفاق في المفاوضات المباشرة بينهما. والخدمة متاحة أيضا للموظفين الذين لديهم خلاف مع رب العمل. في المفاوضات غير المباشرة، قد لا يكون الوسيط نزيها، بل ينحاز لطرف ضد آخر. في خلاف بين موظف ورب عمل، قد يسارع الوسيط إلى كشف انحيازه لصالح رب العمل وحث الموظف على التخلي عن حقوقه.

من الممكن أن تستخدم المفاوضات كوسيلة للمماطلة وإضاعة الوقت وبيع الأوهام. من الأمثلة على هذا النوع، المفاوضات المباشرة المتعلقة بالسلام في الشرق الأوسط في مدريد وواشنطن في التسعينيات.

قد يطلق على بعض التحركات صفة «مفاوضات» ولكنها ليست كذلك في حقيقة الأمر، كأن يعقد اجتماع يفرض فيه الطرف القوي إرادته على الطرف الضعيف، فيوقع الأخير على وثيقة استسلام، أو اتفاقية مهينة.

نتيجة المفاوضات لا تعتمد على مهارات الأشخاص المنخرطين فيها، بل تعتمد على أوراق القوة التي بيد كل طرف. عندما تكون المفاوضات بين دول من خلال فرق تفاوض، يأتي كل فريق ولديه تعليمات من المسؤولين في دولته. ولذا من المستحيل أن ينجح مفاوض في إقناع نظيره بالموافقة على شيء ليس ضمن التعليمات التي وجهت إلى كل منهما.

تكون المفاوضات أحيانا بديلا انهزاميا، وخاصة عندما يسبق الانخراط فيها سرا أو علنا شعارات تحث الجماهير على تقديم التضحيات باسم حب الوطن والدين وما شابه. المنسجم مع قناعاته ومبادئه ويدعو إلى التفاوض أفضل ممن يرفع الشعارات ويمارس أعمالا لا صلة لها بحل نزاع بالتفاوض، ثم بين عشية وضحاها ينسى ماضيه وشعاراته، والتضحيات التي قدمها الناس بالرضا والإكراه التزاما بالشعارات.

ماذا يلاحظ على المفاوضات المتعلقة بالشرق الأوسط؟

= دخول الدول العربية المفاوضات من موقع ضعيف، حتى عندما يكون لدى الطرف العربي أوراق قوة تمكنه من التفاوض من موقع أقوى.

= تحويل المفاوضات إلى وسيلة مماثلة وإضاعة وقت وبيع أو هدم، وتلاعب بالجماهير بالحديث أحيانا عن إحراز تقدم دون أن يتم الوصول إلى اتفاق.

= الوسيط في المفاوضات غير المباشرة يتحول إلى ورقة ضغط على الطرف العربي صاحب الحق.

= أصبح التفاوض كدولة من الشرق الأوسط مع الولايات المتحدة ذا نتيجة مؤقتة، ويبطل الاتفاق مجيء رئيس جديد للولايات المتحدة. في المفاوضات بين الدول، لا يتأثر الاتفاق بين بلدين بحصول انتخابات وتغير الحكومة أو الرئيس، فلو كان الأمر كذلك، لما كانت المفاوضات وسيلة صالحة لتنظيم العلاقات بين الدول، فتخيل أن تعاد مفاوضات دول العالم مع الولايات المتحدة عندما يتغير الرئيس فيها. لا توجد دولة تحترم نفسها تقبل التفاوض على هذا الأساس.

= استخدام المفاوضات لتخدير الدولة التي يجري التفاوض معها، ثم مفاجأتها بعمل عسكري، ثم الطلب منها استئناف المفاوضات.

بناء على ما سبق، من السذاجة السياسية والفكرية النظر إلى المفاوضات نظرة رومانسية، وبيع وهم أن النجاح فيها يعتمد على مهارة المفاوضين. المفاوضات وسيلة مفيدة لحل النزاع عندما يكون لدى الطرفين أوراق قوة تجعل كل طرف يقدم تنازلات للآخر من أجل التوصل إلى اتفاق يحقق لكل طرف مصلحة تعوض عما قدمه من تنازلات في بعض المجالات.

فراس حج محمد

رواية اللغة واستقراء مصادرها



يشير مفهوم الرواية إلى انتقال الخبر المسموع من شخص إلى آخر، مشافهةً، قبل أن يستقر في الصحف مكتوبًا، والشخص يُسمى راويًا وروايةً، «إذا كثرت روايته، والهاء [التاء المربوطة] للمبالغة في صفته بالرواية. ويقال: روى فلان فلانًا شعرًا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه» [1]، وربما دلّت بعد ذلك على الاتصاف بالفعل؛ فالرواية هو من كان عمله رواية الأخبار والأحداث، والاهتمام بها،

حتى أصبحت شغله واكتسب من هذا العمل صفته. ويستدعي هذا العمل الحفظ والاستظهار، وليس مجرد النقل، «وتقول: أنشد القصيدة يا هذا، ولا تقل أروها إلا أن تأمره براويتها أي باستظهارها» [2].

ويدور أصل المعنى اللغوي على الاستقاء، وتشتط الرواية أمرين الحمل والاستظهار، و«هما عنصرا الرواية» [3]، ويلتقي في ذلك الأخبار القديمة والشعر والقرآن الكريم والحديث الشريف، وتبلور نتيجة لأهمية هذا الأمر علم خاص عُرف في الحديث النبوي بعلم الرواية، وصار من مباحث علم الحديث الشريف [4].

وقبل مجيء الإسلام كانت الأخبار والأشعار تنتقل من أفواه الرواة مشافهةً، وعُرفت ظاهرة الشعراء الرواة في الجاهلية، ويكاد يكون لكل شاعر جاهلي

راويّةٌ يصحُّه، يروي عنه أشعاره، وينشرها بين النَّاسِ. وَرَبَّمَا احتذى آثاره الفنّية مِنْ بعده، وَزَادَ عليها مِنْ عنده.

وَكَانَ هَؤُلَاءِ الرواةُ يَعْتَمِدُونَ فِي الغالبِ عَلَى الرّوايةِ الشَّفْويَةِ، وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ الكِتَابَةَ إِلَّا نَادِرًا» [5]، فَكَانَ لِلْأَعشى رَاوِيَةً اسْمُهُ عَيْدٌ، وَكَانَ يَصْحُبُهُ «وَيُرَوِّي شَعْرَهُ، وَكَانَ عالِمًا بِالْإِبِلِ، وَكَانَ يَسْأَلُهُ عَنْ شَعْرِهِ وَعَنْ مَعَانِيهِ وَأَلْفَاظِهِ، وَعَنْهُ أَخَذَ الرواةُ مِثْلَ «سَمَاك» أَخْبَارَ الْأَعشى وَشَعْرِهِ» [6].

لَمْ تَكُنِ الرّوايةُ الْأَدبِيَّةُ وَالْخَبَرِيَّةُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ تَتَوَخَّى الدِّقَّةَ [7]، وَكَانَ الرّوايةُ يُنْقَضُ الْخَبَرُ أَوْ الْقَصِيْدَةُ أَوْ يَتَزَيَّدُ فِيهِمَا حَسَبَ أَهْوَاءٍ وَمَصَالِحَ، قَدْ تَرَقَّى إِلَى مَصَالِحَ قَبْلِيَّةٍ أَوْ رُبَّمَا مَصَالِحَ شَخْصِيَّةٍ ذَاتِيَّةٍ.

وَيَلَاحِظُ الدَّارِسُونَ أَمْرًا آخَرَ عَلَى الرّوايةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ أَنَّ مَا وَصَلْنَا مِنْهَا قَلِيلٌ، لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّ تَدْوِينُ كُلِّ شَيْءٍ أَوَّلًا، وَلَئِنَّهُ عِنْدَمَا جَاءَ الْإِسْلَامُ لَمْ يَعُدَّ يَهْتَمُّ الْمُسْلِمُونَ بِأَخْبَارِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا فِيهَا، فَصَارَتْ أَخْبَارُ الْجَاهِلِيَّةِ قَلِيلَةً، وَسَتَصْبِحُ الْمَصَادِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَهَمَّ مَصَدِرٍ لِلْحَيَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَخَاصَّةً الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ [8].

لَقَدْ عَلَا شَأْنُ الرّوايةِ فِي عَصْرِ الْإِسْلَامِ، لِاعْتِمَادِ مَصَادِرِهِ الْأَصْلِيَّةِ الْمَوْحَى بِهَا عَلَى الرّوايةِ الشَّفْويَةِ، وَإِنْ صَاحَبَتْهَا الْكِتَابَةُ، فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَانَ مَتَدَاوِلًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ شَفَاهَةً، وَيُقْرَأُ غَيْبًا فِي الصَّلَاةِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مُحْفُوظًا فِي الرِّقَاعِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَجْمُوعًا عِنْدَ صَحَابِيٍّ وَاحِدٍ، وَكَانَ الْقُرْآنُ فِي صَدْرِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي صُدُورِ الصَّحَابَةِ، وَعِنْدَمَا جَاءُوا لِيَجْمَعُوهُ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَذُوهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَمِنَ الصُّدُورِ، وَقَابَلُوا بَيْنَ الْمَصَدِرَيْنِ، وَكَانَتْ شَهَادَةُ الصَّحَابَةِ هِيَ الْفَيْصَلُ فِي اعْتِمَادِ الْآيَاتِ وَلَيْسَ مَجْرَدَ الْكِتَابَةِ فِي الْأَوَّلِ. وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَوَّلَ مَصَادِرِ الرّوايةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ أَصْحُ تِلْكَ الْمَصَادِرِ وَأَعْلَاهَا وَأَهْمُّهَا، وَبِفَضْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ احْتَفَى الْعُلَمَاءُ بِالشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ وَبِاللُّغَةِ، وَبِالرّوايةِ، وَصَحَّتْهَا، وَأَسَسَهَا الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَقُومَ عَلَيْهَا؛ فَقَدْ احتاجَ الْعُلَمَاءُ إِلَى الشَّعْرِ الْجَاهِلِيِّ لِيَفْسُرُوا الْقُرْآنَ وَلِيَفْهَمُوا بَعْضَ آيَاتِهِ،

بَلْ وَاضْطَرَّ أحيانا الصحابةُ أَنْ يسألَ بعضهم بعضًا عن معنى لفظٍ قرآنيٍّ، فلم يجدوا الجوابَ إلَّا في شاهدٍ من الشعرِ الجاهليِّ، ومن أمثلة ذلك استفسارُ عمرَ بنِ الخطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهوَ على المنبرِ عن معنى لفظِ «تخوُّفٌ» في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [9] «ما تقولونَ فيها، فسكتوا فقامَ شيخٌ من هذيلَ فقالَ: هذه لغتنا، التَّخَوُّفُ التَّنْقُصُ، قالَ: فهل تعرفُ العربُ ذلكَ في أشعارِها؟ قالَ: نعم. قالَ: شاعرُنَا، وأنشدَ البيتَ [تخوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تامِغًا قَرِدًا كَمَا تَخَوُّفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ السَّفَنِ]، فقالَ عمرُ: أيُّها الناسُ عليكمُ بديوانِكُمْ، قالوا: وما ديوانُنَا، قالَ: شعرُ الجاهليةِ» [10].

لم يشتملِ القرآنُ الكريمُ على الأحكامِ الدينيَّةِ، التشريعيَّةِ والعقديةِ فقط، بل اشتملَ على الأخبارِ والقصصِ، واشتملَ على مجموعةٍ من الألفاظِ العربيَّةِ وغيرِ العربيَّةِ، وصارتَ لغَةُ القرآنِ الكريمِ معياريةً يُقاسُ عليها كُلُّ كلامِ البلغاءِ والفصحاءِ، وأصبحتِ الآيةُ القرآنيَّةُ أعلى الشواهدِ اللُّغويةِ والصرفيَّةِ والنحويَّةِ، نظرًا لأنَّ القرآنَ كتابٌ سماويٌّ مقدسٌ «لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه» [11]، فكلُّ ما فيه حقٌّ، وأيضًا من ناحيةٍ علميَّةٍ فقد جُمعتْ مادَّتُه بطريقةٍ لا يتطرقُ إليها الشكُّ؛ فلم يَختلفِ المسلمونَ على ما فيه، وإن اختلفوا على تأويلِ بعضِهِ.

وَقَرَّتِ اللُّغَةُ القرآنيَّةُ مجالًا خصبًا للدراساتِ اللُّغويةِ في مستوياتها كُلِّها، بدءًا من البنيةِ الصرفيَّةِ وانتهاءً بالأساليبِ البلاغيَّةِ، ومن أجلِ هذه الأهميةِ صارَ القرآنُ الكريمُ عندَ الدارسينَ سببًا ومصدرًا لِلرَّوايةِ، وأولُّها قبلَ الشعرِ الذي هو أسبقُ تاريخيًّا من القرآنِ الكريمِ [12].

وجاءَ الحديثُ الشَّريفُ في المرتبةِ الثَّانيةِ من حيثُ موقعُهُ في الرِّوايةِ وأهميَّتها، نظرًا لِلأسلوبِ المتَّبَعِ في جمعِها وروايَّتها، فلم تكنِ الرِّوايةُ في الحديثِ عشوائيَّةً، بل كانتُ منضبطةً وذاتُ أصولٍ، وكما سبقَ ذكرُهُ، أنتجتْ استراتيجيَّةُ روايةِ الحديثِ الشَّريفِ علمًا خاصًا به، شَمِلَ رواتهُ ومَتْنُهُ، وإن اختلفتْ مدارسُ الحديثِ في تصنيفِهِ بينَ الصحيحِ والحسنِ والصَّعيفِ

والموضوع، إلا أن كل هذه التصنيفات مرتبطة بأحوال الرواة، وما قاله عنهم علم الجرح والتعديل.

ويلتقي الحديث الشريف مع القرآن الكريم في أن كليهما ذوا مصدر إلهي، وأنهما مصدران من مصادر التشريع، وموضوعهما واحد؛ الشريعة والعقيدة، لكن الحديث الشريف اختلف على كونه صالحاً للاحتجاج به، نظراً لتاريخية جمعه، فقد وقع خارج الفترة الزمنية التي حددها العلماء للاحتجاج. ويبسط العلماء القول في مدى الاحتجاج بالحديث ليخلص صاحب كتاب «في أصول النحو إلى «النتيجة المرضية» التي توصل إليها الباحث محمد الخضر حسين، وجاء في نهايتها: «وخلاصة البحث أننا نرى الاستشهاد بالألفاظ ما يروى في كتب الحديث المدونة في الصدر الأول، وإن اختلفت فيها الرواية، ولا نستثني إلا الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة، أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط، أو التصحيف غمراً لا مرد له، ويشد أزراً في ترجيح هذا الرأي: أن جمهور اللغويين، وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالألفاظ الواردة في الحديث، ولو على بعض رواياته» [13].

ويحل الشعر العربي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية في الرواية ومصادرها، ولكنه في المرتبة الثانية من حيث الاحتجاج به، على الرغم من أنه وصل العلماء شفاهة، ولم يكن مكتوباً، وبُدئ بتدوينه أيضاً في فترة متأخرة، وقد وقع فيه الكثير من الاختلاف في الرواية، وتكفي الإشارة هنا فقط لمعرفة ما قد يحدث على القصيدة الجاهلية ما قام به الباحث عبد المنعم خضر الزبيدي في كتابه الموسوم بـ مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، إذ يخصص ملحفاً يثبت فيه «قصائد من الشعر الجاهلي اختلفت أناشيدها» [14].

هذه أهم مصادر الرواية التي اعتمد عليها العلماء في حفظ اللغة وتدوينها، وهذه المصادر فيما يخص النصوص، إما اللغة ومفرداتها وصحتها الصرفية والنحوية فقد كان يعود العلماء فيها إلى الأعراب، فيتلقون منهم تلك الألفاظ ويسجلونها، وقد أفاض الباحث عبد الحميد الشلقاني في دراستها في كتابه

الأعراب الرواة، وجاء فيه: «وكان الأعراب بصفة عامة مصدرًا هامًا يذهب إليهم رواة اللغة حيثما وجدوا، وأوثقهم أعراب البادية الذين بعدوا عن الحاضرة ولم تتأثر أسنتهم بها» [15].

= = =

الهوامش

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1988، الجزء الخامس، ص 383.

[2] السابق، نفسه.

[3] الشلقاني، عبد الحميد، الأعراب الرواة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط 2، 1982، ص 17.

[4] ينظر: مجمع اللغة العربية، معجم مصطلح الحديث النبوي، 2002، ص ص 35-36.

[5] بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 5، د. ت، ص ص 64-65.

[6] جواد، علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، بيروت، ط 4، 2001، ج 17، ص 267.

[7] ينظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق، ص 65.

[8] ينظر: حسين، طه، في الشعر الجاهلي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1، 1926، ص 8.

[9] القرآن الكريم، سورة النحل، الآية (47).

[10] أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، الجزء الثامن، ص 4188.

[11] القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية (42).

[12] الشلقاني، عبد الحميد، مصادر اللغة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، د. ت، ص ص 29-30.

[13] الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 58.

[14] ينظر: الزبيدي، عبد المنعم خضر، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، منشورات جامعة قاريونس، 1980، ص 291؛ ص 413.

[15] الشلقاني، عبد الحميد، الأعراب الرواة، مرجع سابق، ص 8.

= = =

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 5، د. ت.

حسين، طه، في الشعر الجاهلي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1، 1926.

أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987.

الزبيدي، عبد المنعم خضر، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي، منشورات جامعة قاريونس، 1980.

الشلقاني، عبد الحميد، الأعراب الرواة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط 2، 1982.

د. نادية هناوي

سردية التسجيل بين الجبرتي وصلاح عيسى



يرى كثير من الدارسين والنقاد أنَّ عبد الرحمن الجبرتي (1753-1825م) إخباري أو مؤرخ بكتابه الكبير ذي الأجزاء الثلاثة «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، وقلما نجد من يراه ساردا سجّل وقائع عصره. والدلائل التي إليها نستند في عدّ كتابه هذا سردية تسجيلية، تتمثل في ما يأتي:

= أن الوقائع التي وثّق لها الجبرتي ليست

بالبعيدة عن عصره، وتدور جميعها في مصر، وهي مما شاهده أو سمعه أو قرأه «إني كنت سودت أوراقا في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه وأوائل الثالث عشر الذي نحن فيه جمعت فيها بعض الوقائع إجمالية وأخرى محققة تفصيلية وغالبها ممن أدركناها وأمور شاهدناها واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيخة تلقيتها وبعض تراجم الأعيان المشهورين من العلماء والأمراء المعترين»[1].

= يبدأ السرد التسجيلي الموزع بين عدة أجزاء من الأعوام الأخيرة من القرن الثاني عشر الهجري أي السادس عشر الميلادي ومطلع القرن الثالث عشر وينتهي بالعام 1236 هـ 1822م أي قبيل وفاة الجبرتي بثلاثة أعوام.

= أن الهدف من وراء سرد الوقائع ليس استعادة أبطال التاريخ، بل هو

الإخبار وأخذ العبرة والفائدة مما هو عجيب وكذلك الترجمة لمن هم أعيان ومشاهير.

= ما حدده الجبرتي من فهم نظري للتاريخ في مقدمة الكتاب يدل على أنه يقصد به التأريخ بمعناه الرونامي. ولذلك تتبع الكيفية التي بها اهتدى العرب إلى التقويم الهجري، وفُسّر بعض الآيات القرآنية التي فيها ترد الأشهر الهجرية مثل قوله تعالى «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله» التوبة/36. ولقد جسّد الجبرتي هذه الرؤية الرونامية للتأريخ في متون كتابه، فكان يذكر الواقعة بالشهر والسنة الهجرية ثم يسرد أهم أحداثها والأشخاص الذين عايشوها، وعلى هذه الشاكلة من الجمل الزمانية «توجه في الثاني عشر من جمادى الآخرة؛ سافر في منتصف جمادى الآخرة؛ وفي ثامن ربيع الأول؛ مستهل رمضان من السنة ثلاثة ومئة وألف».

= اعتمد الجبرتي على الوثيقة الشفاهية أداة يسرد من خلالها أحداث كل واقعة، ولم يعتمد على الوثائق المدونة لأنها كانت عبارة عن «كراريس سؤدها بعض العامة من الأجناد، ركيكة التركيب مختلفة التهذيب والترتيب وقد اعترأها النقص من مواضع في خلال بعض الوقائع، فرجعنا إلى النقل من أفواه الشیخة المسنين وصكوك دفاتر الكتبة والناشرين وما انتقش على أحجار ترب المقبورين» [2] وبهذا يكون للتخييل السردى دور في تسجيل الوقائع. وغلب عليها أسلوب السجع، وهو أمر طبيعي في سرديات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

= المنظور الأخلاقي هو المراد من توثيق أية واقعة أو ترجمة وبكل ما فيها من سرد واقعي وتأريخي. فكان كثير الجمع بين التأرخة لملوك مصر الذين حكموا بعد ضعف الخلافة العباسية. وحدد مدد حكمهم وأعمارهم وانجازاتهم كما حرص على التأرخة لأشخاص مغمورين من عامة الناس، موثقا الوقائع التي كانوا هم فواعلها كما في قصة الرجل الشريف الذي قتله رجل تركي «في ثالث المحرم سنة أربع وعشرين ومئة وألف ورد مرسوم سلطاني يطلب ثلاثة آلاف

من العساكر المصرية إلى الغزو. وفي ثامنه تشاجر رجل شريف مع تركي في سوق البندقانيين ف ضرب التركي الشريف فقتله ولم يعلم أين ذهب فوضع الأشراف المقتول في تابوت وطلعوا به إلى الديوان. فلما كان يوم عاشره قامت الأشراف وقفلوا أسواق القاهرة، وأصبحوا كذلك يوم الجمعة» [3].

وانطلاقاً من المنظور الأخلاقي اهتم الجبرتي بتحديد أسباب وفيات الأعيان؛ كيف مرضوا وعولجوا ومتى ماتوا وأين دفنوا في إشارة إلى أن التصارع على الوجاهة والمال إنما هو فإن أمام قصر الحياة وسرعة رحلة المرء فيها «تولى السيد محسن بن حسين بن زيد إمارة مكة ونودي بالأمان بعد حروب كثيرة وزينت مكة ثلاثة أيام بلياليها وذلك منتصف رجب. ومرض احمد باشا وتوفي ثمانى عشر جمادى الآخرة سنة اثنين ومئة وألف ودفن بالقرافة فكانت مدته سنة واحدة وستة أشهر. وفي رابع عشر توفي قيطاس بيك الدفتردار» [4].

= أن الجبرتي تعرّض إلى الحياة الدينية والاقتصادية والثقافية ومختلف مسائل الحياة اليومية سواء المهمة منها وغير المهمة من قبيل ذكره أحوال الأنواء الجوية «وفي هذا الشهر وقع ثلج بقريتي سرسنة وعشما من بلاد المنوفية؟ إن هذا السرد التسجيلي الذي اعتمده الجبرتي في تأليف كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» هو ما يجعله باكورة السرد التسجيلي في الأدب العربي الحديث.

ولقد أثّرت تسجيلات الجبرتي في الكاتب المصري صلاح عيسى الذي وصل بهذا النوع من السرد إلى مرتبة النضج الفني فكان أهم رواد الرواية التسجيلية. علماً أنه لم يصنّف أعماله السردية بأنها روايات كما لم يقل إنها سرد تسجيلي بشكل مباشر. وفي ذلك دلالة قاطعة على أن صلاح عيسى يسير في كتاباته على منوال الجبرتي في ما ألفه من كتب. ومنها كتابه «حكايات من دفتر الوطن» وصدرت طبعته الأولى عام 1973، وفيه وثّق حياة المصريين من نواح حياتية مختلفة. ورتب الوقائع بحسب التاريخ الميلادي. فكانت تأرخة الواقعي وتوقيت التأريخي هما هدفه، «الكتاب كما حلمتُ أقرب ما يكون إليّ، صورة للوطن

تغري المحبين بالقراءة في تاريخه وبالتطرف في عشقه كما أغرتني طقوس أخرى للصلاة في معبد المحبوب فظللتُ بين يونيو 1972 ومارس 1975 اكتب يوميا على صفحات جريدة الجمهورية القاهرية زاوية بعنوان هوامش، كانت تلتقط ومضات تاريخية قصيرة ومركزة ومكثفة في حقبة السبعينيات التي كانت محاولات مسح الذاكرة الوطنية تجري خلالها بصورة مكثفة»[5]



وليس جزافا بعد ذلك عدّ كتاب «حكايات من دفتر الوطن» رواية تسجيلية، تُسرد بضمير الأنثى باستثناء بعض المواضع التي فيها يتخذ السرد شكلا مقاميا «قال الراوي يا سادة يا كرام: لهذه الحكايات حكاية». وقد تبدو الرواية سيرة اوتوبوغرافية بسبب مركزية الأنثى غير أن المنظور الأخلاقي هو الطاغى على السرد الذاتي؛ فالتسجيل ليس لفرد واحد بشخصه، بل هو سرد لجيل بكامله. يجتمع

فيه التوثيق التاريخي بالسرد الاوتوبوغرافي «على مشارف الصبا عشْتُ شهور المد الديمقراطي العظيمة بين 3 يناير 1950 و26 يناير 1952 فتفتح وعيي مبكرا. كان أبي وطنيا ليبراليا بالفطرة. في يوم من تلك الأيام عثرت على كتاب صغير للأستاذ أحمد بهاء الدين عنوانه أيام لها تاريخ. كان التاريخ في هذا الكتاب شيئا آخر غير ذلك الذي كان يستفزني لقص الصور من كتبه وتعليقها على جدران حجرتي الناحلة كنوع من العقوبة لمؤلفها»[6].

إن مراد صلاح عيسى هو التأريخ بمعناه الروزنامي، وما جعله يوجه عنايته إليه هو الحدث الجلل المتمثل بنكسة 5 حزيران 1967 ويصف عيسى الحدث بالطفل المشوه في شهره الخامس «وكان جيفارا قد قتلنا معه قبل أسابيع»[7] فلم يجد بدا من استعادة الثقة بالواقع الحاضر إلا باستعادة الماضي الغابر «عدت إلى أحضان التاريخ المصري القديم أبحث عن قوتي وعزائي وكبريائي، ولعل الهروب إلى الماضي كأحلام المستقبل نوع من النفي الاختياري كان لا بد

منه لكل جيلنا. شهور طويلة غصت في أوراق الصحف القديمة بقصر مملوكي فوق رابية تطل منها القلعة على القاهرة أعيش مع القرن الماضي وأوائل القرن الحالي أنسم عطر الزمن الذي ولى. كنت أحلم أيامها بأن أكتب كتابا عن عذاب مصر» [8].

وإذا كان التأريخ هو الأساس، فإن الواقع هو البنيان ومن خلال ذلك يرصد الكاتب ملامح الحياة المصرية وما فيها من أزمتا اقتصادية وتخلّف اجتماعي وما تتطلع إليه من آفاق التقدم الصناعي وخيارات أخرى من قبيل التفكير في حكم دكتاتوري متشدد في الوطنية أو حكم ديمقراطي يتساهل في حقوق الوطن وقضية الحرية. ويصب صلاح عيسى جام غضبه على الوقائع التي فيها كانت السيطرة للغزاة «كان أخطر ما فعلوه أن حولوا هذا العقل إلى عقل يعرف جيدا علامات التنصيص ويجهل علامات الاستفهام والتعجب. عقل يفقد تدريجيا إلى الحاسة النقدية التي تمكنه من تحطيم المحرمات التي تحول بينه وبين الثورة على واقعه وانتزاع مقدراته من أيدي الطغاة والغزاة» [9].

وتقوم طريقة السرد التسجيلي على سرد وقائع (حكايات) الماضي بدءا من العصر المملوكي وتحديد السنوات الأربع الأخيرة منه، موثقة باليوم والشهر والسنة بالاعتماد على «تاريخ ابن إياس» من جهة وبالاعتماد من جانب آخر على الذاكرة والمخيلة في إضفاء الطابع الواقعي على الحكايات.

وكل واقعة/حكاية موثقة باليوم والشهر والسنة، ولا بد أن يكون فيها أمر عجيب وغريب على شاكلة ما وجدناه في كتاب الجبرتي، ومن ذلك مثلا هذا المقطع التسجيلي، وفيه يقول صلاح عيسى: «الأربعاء 15 ديسمبر 1513 وبينما السلطان مشغول في أمر الحج كان هناك أمر آخر يدبر بخفية شخص يقال له شمس الدين الزنكلوني من قضاة الشافعية كان زميلا وصديقا للمشالي وجد حلا شرعيا ينقذ صديقه من الرجم وتمكن من أن يهرّب له رسالة في سجن المقشرة وأخرى إلى المرأة في سجن الحجرة تنبههما إلى ضرورة أن يطلب كل منهما قاضيا. يقول ابن إياس ولم يتفق قط أن القضاة الأربعة يعزلون كلهم

في يوم واحد إلا في هذه الواقعة التي جرت فعُدت من النواذر الغريبة»[10].
بيد أن لصلاح عيسى منظورا أخلاقيا في حكاية سليمان الحلبي وواقعة
قتله القائد الفرنسي كليبر، فهو يصف الحلبي بطلا، رفض الخنوع أمام المحتل
الفرنسي. وهذا على الضد من منظور الجبرتي الأخلاقي الذي وإلى الفرنسيين
ونعت سليمان الحلبي بالآفاق الأهوج. ولقد خصَّ عيسى هذه الواقعة بالاهتمام،
فوقف وقفة تسجيلية طويلة عندها. ومما قاله في الحلبي ما يأتي: «قتل كبير
الفرنسيين وقائد جيوشهم ويعسوبهم كليبر. ولد في حلب وجاء من القدس عبر
الجليل ويافا وغزة أي جاء من الشام: الأرض التي كانت بعض حلم نابليون
وكليبر ببناء إمبراطورية فرنسية شرقية ليقطع الطريق على انجلترا ويضربها في
الصميم: يضربها فينا يدميها برؤوسنا المقطوعة بجوعنا وقهرنا وذبحنا ونحن
نصلي، ملوحا أمامنا بالجوكارد شارة الثورة الفرنسية المثلثة الألوان وبزخارف
الحرية والإخاء والمساواة التي لم نشهد شيئا منها»[11].

ويسجّل السارد تفاصيل مقتل كليبر مسترجعا الأحداث من البداية حين
ذهب قبل مقتله بعام إلى غزة ويافا كي يغزو من بعدهما بلاد الشام، ردا لاعتبار
بونابرت الذي ثارت عليه المدن المصرية بعد هزيمته النكراء أمام الأدميرال
نيلسون قائد الأسطول البريطاني، ف ضرب الأخير حصارا على شواطئ مصر. وكان
بونابرت قد «فكر في أن يولي كليبر قيادة الحملة لكنه عدل عن ذلك وأثر
نفسه بالمجد المتوقع، فتولى القيادة بنفسه وحرّم القائد الإلزامي المتكبر -
الذي كان يعتبر نفسه أقدم من بونابرت وأكفا منه عسكريا- من مجد الشام.
وفي الشام لم يكن هنا مجد لبونابرت ولا كليبر. وفيما بعد قال أولهما بأسى
فاجع: لو استطعت الاستيلاء على عكا للبست عمامة ولجعلت جنودي يرتدون
السراويل الفضفاضة ولجعلتهم فيلقا مقدسا ولنصبت نفسي إمبراطورا على
الشرق ولعدت إلى باريس بطريق القسطنطينية ولكن هذه الأحلام قد دفنت
تحت أسوار عكا»[12].

إن مجد الشام الذي تحقق كان مجد عكا التي صمدت بوجه الحصار

مدة 62 يوما كاملة. وعلى الرغم من موجات الهجوم عليها موجة بعد موجة وضربات المدفعية الفرنسية لأسوار عكا وأبراجها، فإن المدينة لم تفتح أبوابها للغازي الذي حلم بعمامة وسروال فضفاض.

وسخر صلاح عيسى مما تمثّل به كتب التاريخ من أكاذيب، من ذلك مثلا أن كليبر وبونابرت عادا من عكا بأكاليل الغار وأنهما قاما «بمذابح وولوج في الدم تخجل منه الوحوش ذوات الظفر والناب التي لم تقرأ فولتير، ولم تتأثر بروسو ولم تسمع عن فلاسفة التنوير». [13]. ومن الأكاذيب أن جثث أهل يافا المتعفنة في شوارعها كانت متاريس الحامية التي ظلت على الشاطئ. والحقيقة التي يؤكدّها صلاح عيسى أنّ كل هذا أثمر طاعونا ما لبث أن هزم الجيش الغازي تحت أسوار عكا.

وفي خضم تفنيد هذه الأكاذيب، تأتي قصة سليمان الحلبي الذي قدم الى فلسطين في شتاء عام 1800 وصلى في المسجد الأقصى وجاوره زمنا «ولا بد أنه سمع هناك بما فعله الفرنسيون بأهل يافا وبحامية دمشق ومعسكر العريش كان مكدودا وضائقا ذلك ان والي حلب العثماني إبراهيم باشا فرض على أبيه غرامة ضخمة وألزمه بدفعها فرحل الشاب القلق بحثا عن عمل يقتات منه وعن باب يشكو إليه ما يفعل الوالي الظالم وكانت فلسطين أيامها قد أصبحت مركز تجميع الجيوش العثمانية التي تستعد للهجوم على الفرنسيين لتجليهم عن مصر» [14]

وفي أبريل 1800 سافر سليمان الحلبي من الخليل إلى غزة والتقى بياسين أغا واشترى الخنجر الذي سيغمده فيما بعد في صدر كليبر بعد أن أمضى شهرا في القاهرة. ولقد أُعدم سليمان الحلبي ورفاقه رميا بالرصاص في 17 يونيو 1800 وجرت في التاريخ نفسه مراسيم جنازة الجنرال الفرنسي المقتول.

ويستمر صلاح عيسى في سرد الوقائع التي عرفتها مصر في أواخر العهد المملوكي على ذات الشاكلة في سرد واقعة قتل سليمان الحلبي للجنرال الفرنسي. ومن تلك الوقائع مثلا واقعة الأحد الدامي، ومغامرات عبد الله أفندي بالمر،

والبطريق الذي عاش في المنفى، وزمن الجواري، ورصاصات الأمير سيف الدين،
وجلاذ دنشواي، وغير ذلك.

= = =

الهوامش

[1] عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الأول، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تحقيق
عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1997،
ص 1.

[2] المصدر السابق، ص 11.

[3] المصدر السابق، ص 95.

[4] المصدر السابق، ص 45.

[5] حكايات من دفتر الوطن، صلاح عيسى. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998،
ص 17.

[6] المصدر السابق، ص ص 22-23.

[7] المصدر السابق، ص 24.

[8] المصدر السابق، ص 25.

[9] المصدر السابق، ص 26.

[10] المصدر السابق، ص 53 و 58.

[11] المصدر السابق، ص 79.

[12] المصدر السابق، ص 80.

[13] المصدر السابق، ص 80.

[14] المصدر السابق، ص ص 83-84.

جيهان أبو لاشين حرب في رأسي



هل استطاعت الحرب أن تزرع في رأسي
قنبلة موقوتة؟ هل يمكن لسنتين عجاف تغييرني
للأبد؟ هل يمكنني وقف القنبلة، السيطرة على
أفكاري؟ هل يمكن لأفكاري أن تكون عدوتي؟
في رأسي أفكار مثل الأشباح، تظهر فجأة
وتختفي فجأة. بعضها مخيف، وبعضها ظريف.
في رأسي مفردات كثيرة، بالكاد أذكرها،
ومفردات جديدة أصبحت أعرفها: الخيمة،
التكية، طابور الماء، الجوع، النزوح، الإخلاء،
المساعدات ...

في رأسي روائح كثيرة بالكاد أذكرها، وروائح جديدة أصبحت أعرفها: رائحة
الاحتراق (بيوت محترقة، أحلام محترقة، أرواح محترقة) وروائح الدمار والكذب
والفوضى....

في رأسي مذاقات كثيرة بالكاد أذكرها ومذاقات جديدة صرت أعرفها: مذاق
الخوف والقلق والحزن ومرارة الفقد وحموضة المعدة، وملوحة الأجوبة. أما
الطعام فلم يعد له أي مذاق....

في رأسي أصوات تلاشت، ولكن صداها يتردد في روحي: ضحكات الأطفال،
وزغاريذ النساء، صوت الاحتفال وصوت بائع المرطبات، صوت معلمتي وطابور

الصباح، وأصوات الفرحة عند اجتماع العائلة ...
في رأسي أصوات كثيرة، مستمرة من حولي: صوت الزنانة التي تحفر في
جمجمتي خنادق يسيل فيها القلق، صوت الكواد كابت التي تثقب قلبي وتغرز
فيه الرعب، صوت الصواريخ وتفريغ الهواء وبتر الأطراف والمشاكل العائلية
والنزاع بين الناس، صوت الأطفال الجياع والمفقودين والمتسولين والخائفين،
جميعها تهز روحي وتملؤها بالفراغ ...

في رأسي أفكار مشوهة. في رأسي أفكار متناقضة.
في رأسي أفكار غبية. في رأسي أفكار لم تولد بعد.
في رأسي أفكار حزينة. في رأسي أفكار مجنونة.
في رأسي أفكار ملونة. في رأسي أفكار مكورة.
في رأسي أفكار كريمة. في رأسي أفكار لئيمة. في رأسي فكرة عظيمة:
ماذا لو سبحت فلسطين في البحر، صارت جزيرة بعيدة، نبتت فيها أشجار
كثيرة وعديدة، مليئة بالثمار، ونبتت فيها بيوت لا تموت مليئة بالأخيار، بعيدا
عن الحرب والتجار والسياسيين والمفاوضين والكراسي والمناصب وعاش الناس
بسلام؟

في رأسي أفكار مفقودة كنت أحفظها عن ظهر قلب.
في رأسي أفكار راسخة، لا يمكن أن تسرقها الحرب.
رأسي قبللة موقوتة. على وشك الانفجار.
كيف يمكن لأفكاري أن تكون صديقتي؟

إيناس ثابت لحن الطبيعة

=1=

يا مية مسا طل القمر
يرقص ويلعب عالشجر
تاري القمر غاوي السهر
عشقان وبقلبو أسي

* * *

قالت السمكة لأصدقائها من الطيور الجائمة على أغصان شجرة دائمة الخضرة، وهي تستأنس النظر نحو الفضاء، تتأمل إطلالة القمر البهي في رقعة السماء: أنا الفاتنة العينين، أميرة هذا النهر العظيم، الممتد تحت أعين الظلال. انظروا إلى قمري الجميل ما لطفه! يلقي شعاعه الفضي إلى الأرض، يتناثر بعضه نُسيمات رقيقة في الهواء، ويسكب الآخر قبلات شهية على شفتي الحماوين. أتعلمون! بقفزة واحدة مني أستطيع معانقة قمري المتيّم، من أضناه هوى عيني الساحرتين وألقي به في أحضان مياه النهر، وما هذا النهر النقي؟ إلا دموع القمر العاشق. مرحى للأرض! لقد تبللت بأنقى وأصفى المياه، دموع القلب الصادق.

ابتسمت السمكة إلى انعكاس صورة القمر الدائري الجميل على صفحة ماء النهر الرقراق وانتشت فخراً ودلالاً. غارت الطيور وبدأت تهمس فيما

بينها وتثرثر وتنقل الإشاعات سرا: «لقد أحبها القمر المسكين. لذا هجر السماء
وسكن مياه النهر».

=2=

امطري واعصفي
وارقصي واعزفي
واخلي الجمال
وانسجي الخيال

* * *

عانقت قطرة المطر الصغيرة صديقتها القطرة الثانية، وفي خشوع بدأت
تناجي خالقها قبل أن تمضي إلى مصيرها بفخر واعتزاز: إلهي مالك البر والبحر،
يا من خلقتني نقطة صغيرة تسيل من عين السماء: ضمني بين ذراعي البحر
العظيم، من يحوي الكنوز العظام واللؤلؤ النفيس والمرجان، فأذوب فيه،
وأفنى في رحابة صدره اللامتناهي، أجري فيه ومعه، أتناغم مع هدوءه وأثور
مع اضطرابه، وأتلاطم مع موجه الأبدى مع إخوتي على الصخور. فرغت من
صلواتها ونزلت من السماء باستسلام، خفيفة هادئة مطمئنة الخاطر خلية
البال مستسلمة إلى حكم الباري، لتسقط في مياه البحر.

حان دور القطرة الأخرى حينما أقامت الصلاة بقلب وجِلِّ ونفس مضطربة
حائرة تردد صلاة أختها. أغمضت عينيها تنتظر أن يفتح البحر لها ذراعيه.
غرقت القطرة في خيبة الأمل حينما لم تسقط في مياه البحر كما تضرعت للخالق
مدبر الأمر وكما وتمنت واشتهت. سقطت على حبة رمل. يا للخيبة! هكذا
صاحت القطرة. لكن حبة الرمل أزهرت شجرة ياسمين جذورها تعانق الأرض
بثبات، أوراقها تراقص قناديل السماء بخفة ودلال، تستريح على أغصانها أجنحة
الملائكة، والقطرة وُلدت من جديد ابتسامة ندية تتلألأ على ثغر الياسمين.

=3=

وأنا متكية ع بابي
مرقت نحلة بكير
حلت ع زهور الغابة
وصارت تعمل مشاوير

* * *

في خشوع مهيب وفيض من السعادة والأمان ترقص النحلة وتتمايل برقة
وانسجام مع أغنية الكون. يخفق جناحاها الرقيقان، تبتهل فتحمل تسابيحها
أجنحة الطير: أرضي كل تراب الله، السهوب الواسعة وجنان الحقول، السهول
الفسيحة والوديان الساحرة، قبلي زهرة خجلى تفوح بالعطر وتعبق بأجمل
الأحلام، وضوئي من ماء الشمس ونثار النور، سجادتي قطرة ندى براق. أقيم
صلاتي كلما هب النسيم وسرقني في رحلة في أديم الكون الواسع حبا في الخالق
وتمجيذا لسر الوجود.

=4=

علمتني حلوة الحلوين
إن فلّيت اترك عطر بهالكون

* * *

في البستان يتأنق الغناء مشرقاً بكل الألوان، قلب الزهرة الصغيرة الحمراء
اليانعة ينضح بالسكر ويعبق بالعبير، يسبي عطرها القلوب وتعشق مرآها
العيون، قلب الزهرة العذراء في ربيع الغرام دائم، يخفق بقوة الحياة ويتغذى
من رحيق النور ولهفة الحب وحلاوة الوجود. تغبط نفسها لأن فراشتين
عاشقتين ممن اظماً قلبهما الهوى اختاراهما مسكنا لهما، تعهدت الزهرة أن
تكون كاهنا يشهد قصة حبهما ويربط قلبيهما للأبد بالعطر المقدس.
آه يا وردتي البهية، أيتها الطاهرة: لكِ الله يا صديقتي. ليت الحب كان
شفيعا لكِ، لو أنه أنصفك.

ويح من انطفأت الشمس في قلبه ولم يدرك سر الحياة فيك، ولم يتعرف إلى روعة حسنك وفتنة تصويرك، ولطف عبيرك وبديع ما صنعه يد الخالق فيك، لم يرك زهرة في نفسه تفوح وطلا لوجه الحبيبة يلوح. هكذا تنهدت الفراشة وبشت أشجانها وأملت لوعة شكواها. برحت بها الآلام بعدما قطفت يد بشرية الزهرة المسكينة. لم تعرف الفراشة الحزينة أن اليد التي اغتالت صديقتها المخلصة كانت يد عاشق من بني البشر، اختار مسكنها والشاهد على قصة عشقها أضحية وهدية لهواه، أنهى حياة الزهرة نفسها التي أحييت في نفسه مشاعر الحب والوله. «آه لو»... هكذا بكل لوعة وحسرة بقيت الفراشة تنوح وتبكي وتردد قصتها عبر الزمن.

=5=

كنا سوا نلتقي
وما عاد سوا نلتقي
ضاع الهوى وما بقي
إلا القصص والصور

* * *

كانت الحشرة في طريقها إلى بيتها تسير بروية واتزان وخطى ثابتة، في قلبها شوق كبير إلى لقاء أطفالها وعلى ظهرها حملت حبة سكر حلوة المذاق. كانت تفكر كم سيفرح الأطفال بها. ضاع من قلبها السلام وأفسدت عليها الأمان قدم بشرية ضخمة تتقدم نحوها تحاول سحقها باستحقار والتخلص منها بلا ندم أو شعور بالذنب والعار. قدم تفتك بالضعيف وتهمل رغبته في الحق في الحياة والعيش مثله في طمأنينة وسلام. خاب أمل الحشرة، تحطمت أحلامها واستبد بها الرعب والخوف من الهلاك والموت بلا شفقة أو رحمة تحت الأقدام، آلمها أن ينتظرها أطفالها الصغار بلا أمل في العودة وبدون حبة سكر تذوب في الأفواه.

فنار عبد الغني

أحلام من الجنوب



كانت على غير عاداتها تفتح موضوعا ثم تنتقل إلى آخر. تحدثت عن وقائع الحرب وما تركته من آثار لا تمحى: عن أعز الأشخاص الذين فقدتهم في الحرب؛ وعن الطلاب وأبناء الأساتذة زملائنا الذين قضوا نحبهم فيها؛ وعن الخراب الذي لحق بالبنية التحتية؛ وعن البيوت التي دمرت فوق رؤوس أصحابها؛ وعن الكثير من الخسائر. لكنها، ولأنها

ابنة الجنوب، فقد كانت تتحدث بكبرياء وشجن وثقة يتسم بها أهل الجنوب. ربما مضى وقت جعلها تتخطى الشعور بحزن الفقد، لكن الإصرار على البقاء والثبات من سمات شخصيتها الشجاعة.

عبرت لي عن اشتياقها، وقالت لي: «مضت فترة طويلة لم نلتق. سنتان؟»

قلت لها: «بل ثلاث سنوات. وقت طويل».

عندئذ سألتني عما حدث معي خلال هذه السنوات الثلاث، فسردت لها بعض التفاصيل. أنا أقدر الأستاذة أحلام ليس لأنها جنوبية وتحمل معها عبر بلادها، بل لأنها إنسانة طيبة، وحنونة، وصادقة، وأنيقة، ومخلصة في عملها وتعاملها الشخصي، ومثقفة. وهي تعمل في أرضها، تزرع وتحصد ككل الجنوبيين. هي ابنة الأرض، وهذا شعور لا يعرفه إلا من كان حب الأرض يسري في عروقه بالوراثة.

سألتني: «هل بقيت في مدينتك وقت الحرب أم انتقلت إلى مدينة أخرى؟ اتصلت بك خلال الحرب ولم تردي على مكالمتي».

اعتذرت منها، لأنني في الحرب كنت مشغولة بمرض أُمِّي.

كانت الأستاذة أحلام تعمل بجد لإنهاء آخر ملفاتها وقد أنجزته قبل الوقت المحدد. أصغيت إليها بكل اهتمام، فهي كأختي الكبرى. أخذت أتأمل عينيها الزرقاوين وما فيهما من إصرار وتحد وهي تحدثني عن وضع الطلاب في الجنوب وكيف عادوا إلى قراهم المدمرة وإلى بيوتهم الممسوحة وكانت السنة الدراسية قد بدأت، وعن الصعوبات التي واجهوها لاستكمال الحياة بشكل عام، والعام الدراسي بشكل خاص.

قالت لي: «مضى على معرفتنا ثمانية عشر عاما، أذكر أول مرة رأيتك فيها. كنت خجولة وبريئة وجميلة، لكنك اليوم أصبحت أجمل من قبل ما شاء الله! أذكر تلك اللحظة كأنها الآن. كنت واقفة أمام اللوح بالقرب من طاولة أعضاء اللجنة وكنت تصغين للإرشادات بعناية. السنوات لم تغير من أخلاقنا وقيمنا. الحمد لله».

قلت لها: «شكرا لك هذا من لطفك».

ثم أردفت بعد أن تنهدت طويلا وقالت بصوت خفيض: «اليوم آخر يوم سوف ترينني فيه».

«لِمَ تقولين هذا؟ هل أنت مريضة أم تعبت من قيادة سيارتك من ضيعتك إلى صيدا كما أخبرتني؟»

حدّقت بالسماء طويلا، كان المساء قد بدأ وأشعة الشمس الحارقة في تموز بدأت تخف، وأخذت نفسا عميقا ثم قالت: «في آذار المقبل سأبلغ سن التقاعد. سوف أبقى في سلك التعليم لغاية آذار. ولكن حسب القانون، لن يسمحوا لي بالمشاركة في أعمال التصحيح في السنة المقبلة. إنه آخر يوم لي. أختي تريدني غدا أن أكون معها في البيت لتتشارك العمل في البيت والأرض».

قلت لها: «لكننا سنبقى على تواصل وتبادل الرسائل والأخبار وتحدثات».

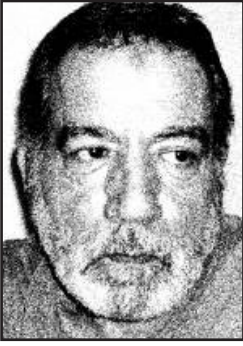
واتفقنا على ذلك. في تلك اللحظات، خيم الصمت علينا، كانت لحظات قاسية. لن ألتقي بها بعد اليوم ولن أشم عبير بلادي، وهذا هو أصعب ما في الأمر عندي. عند وداعها، أخذت أردد في قلبي أغنية أحفظها منذ طفولتي: يا طير الجنوب.

رحلت الطيور إلى جنوبها وأخذت قلبي معها. أشتاق أن أذهب إلى ضيعتها وأزورها. لا بد أن أذهب ذات يوم إلى هناك. لقد حافظنا على العهد، ولا زلنا نتحدث ونتناقش. آخر ما أرسلته لي الأستاذة أحلام كان مقالة عن أقوال الفنان زياد الرحباني الذي أدركه الموت في الآونة الأخيرة.

تسعدني كلماتها القادمة من الجنوب؛ تحيي في قلبي ألوانا من الحب. أتعلمون؟ نحن وأهل الجنوب تجمعنا رواسخ متجذرة وعلاقات تاريخية لا نستطيع فهمها. قلوبنا تتجاذب كالمغناطيس. وهذا الأمر لا يفهمه إلا من ينتمون إلى نفس التراب. نحن هم، وهم نحن: شعب واحد، يحب أرضه و متمسك بقيمه ومبادئه.

زكي شيرخان

ميتة



هي النهاية إذن. هو الموت. هذه هي الحقيقة التي طالما دأبت مخيلته، وتمناها في فترات مختلفة من حياته. إنه لا يتذكر تحديدا متى تمنى الموت، وكم مرة. ولكنه يتذكر أن الأزمات كانت تبعث الحياة في أمنية الموت هذه. الآن وبدون أن يرغب به جاءه زائرا ثقيلًا على غير موعد. وعلت شفتيه ابتسامة سخرية مرددا في سره: «ومتى كان الموت يأتي بموعد؟»

بهتت الابتسامة على شفتيه وهو يتذكر كيف كان يحدثها يوما عن الموت، وبجديته المعهودة سألها: «أنا أتحدث عن الموت. تخيلي، وليكن محض خيال، إنك تسمعين غدا أو بعد غد، أي مت. لا بد أنك ستتساءلين: هل كان يعلم بأنه سيموت؟» قاطعته بحدة: «ما هذا الكلام؟»، فأجابها ضاحكا: «الرعب غزا عينيك. إنك تتهربين حتى من مجرد التفكير به».

بالنسبة لها هو ميت من زمن ولّى. أصبح مجرد ذكرى قد تكون مؤلمة بعض الشيء. حتى هو لا يعتبر نفسه حيا قياسا لما يجب أن تكون عليها الحياة. لكنه من وجهة نظر الآخرين فهو ممتلئ بالحياة، فهو يتنفس، ويأكل، ويشرب، ويمارس الأشياء بنهم شديد. وبسبب هذا كله فإنه حي يُرزق. زفر بألم وهو يستعيد كلمات الطبيب بعد أن استدرجه في الكلام. شعر بلذة

غامرة في حينها وهو يتحدث معه متخيلا نفسه مُحققا ينتزع الاعتراف منه بأسلوب متحضر، لا كما كانت الاعترافات تُنتزع منه بآدمية مقبته منذ أعوام طويلة انقضت، ترك على أثرها العمل السياسي وإن كان ما زال يمارسه بمخيلته. منذ البدء لم يشعر بأي ود تجاه هذا الطبيب، ولكنه لم يعتد الحكم على الآخرين من خلال عواطفه.

= «لا أخفي عليك، الحالة ليست مطمئنة. والتوقع بأنها ستزداد سوءا وارد جدا، ولا أخفيك تشاؤمي. لقد جئت متأخرا جدا.»
تراجع. زحف الخوف إلى كيانه، وكضربة سيف قاطعة جاء سؤاله: «هل تتحدث عن الموت؟ أصدقني القول يا دكتور...»
في هذه اللحظة المخبأة في جعبة القدر نسي اسمه وهو المعروف عنه قابليته على حفظ أسماء الأشخاص وأشكالهم.
= «متى سأنتهي؟ شهر؟ شهران؟ أو...».

أراد الطبيب أن يطفئ لهفته بأسرع مما توقع، أو ربما لم يرغب في أن يطيل الحديث معه كعادة الأطباء: «لا أدري بالضبط، هي بضعة أسابيع»، وكأنه أراد أن يستعجله على فك ارتباطه بالحياة: «بكل الأحوال ليس قبل أسبوعين، ولكن تبقى الأعمار بيد الله.»

عبارته الأخيرة ذكّرت بواجباته الدينية التي أهملها منذ زمن بعيد. أسبوعان، ماذا يمكنه أن يفعل خلالهما؟ يزور الأقارب؟ يتصل بمن يتذكر من أصدقائه ومعارفه؟ يترجم انفعالاته بأسطر تبقى بعده؟ يتوب من معاصيه، ويكفر عن سيئاته ليلقى ربه طاهرا؟

حاول أن يتذكر كم من المعاصي ارتكب، وما جزاؤها عند رب العالمين؟ ترى هل سيُعذب كثيرا؟ هل...؟ تذكر كلمات الطبيب الأخيرة قبل أن يخرج من عنده:

= «من المستحسن ألا تخرج وحدك فستكرر نفس حالات الحمى الشديدة المفاجئة التي بسببها راجعتني وقد تسبب حالة فقدان وعي.»

المحموم يفقد توازنه، ويفقد السيطرة على نفسه، ويهذي. آه، الهذيان يعني إفشاء أسرار، وهو الذي علمته سنوات العمل السياسي التكتم. لا يهم، لم يبق من العمر ما يُخشى منه أو عليه.

فور خروجه من البناية التي تحوي عيادة الطبيب، أخرج سيجارة وملاً رثتيه بدخانها قبل أن ينفثه ببطء. غريب، احتمال الموت لم يجعل الطبيب يمنعه من التدخين والمسكرات والتوابل. ربما لم يشأ أن يحرمه من شيء قبل أن يودع الحياة.

* * *

= «كم استغرقت نوبة الحمى؟»

= «حوالي نصف ساعة».

= «ما بك؟ أقلقتنا. من المستحسن أن تتهياً كي أخذك إلى الطبي...»

قاطعها قائلاً: «لا داعي، نوبات الحمى هذه أعاني منها منذ فترة، وقد كنت عند الطبيب أمس، والحالة بسيطة كما أعلمني».

كذب مُكرهاً، وإن كان قد مارسه كثيراً، وكثيراً جداً مع المحققين. لم يكن يعتبره كذبا، لم يكن صدقا، ولكنه لم يكن كذبا، كان شيئاً آخر لم يجد المفردة المناسبة لوصفه. لم يكن يرضى بمصطلح (انكار).

= «ولكن حرارتك مرتفعة».

= «ليس الآن، فقد كانت مرتفعة».

ترى بماذا هذى عندما كان تحت تأثير الحمى؟ ود لو يخرج جميع الذين تحلقوا حول سريره، ليسأله. أراد أن يحثهم على الخروج، ولكنه أشفق عليهم، فليجئوا منه ما شاءوا في أخريات أيامه. ترى أذكر الموت؟ أذكر ما يشير إلى قرب رحيله النهائي؟ هل ذكر اسمها؟ أصبح يشفق على الآخرين من خلال إشفاقه على نفسه. لم يكن في حياته كلها شيء ذو بال غير ممارسته النشاط السياسي الذي حُرِم منه منذ فترة طويلة، أو بالأحرى لم يعد يذكر الأمور المهمة في حياته التي ظل يتصورها تراجيدياً متلاحقة. ألم تكن كذلك؟ في حضرة الموت يتذكر

المرء أشياء كثيرة قلما تخطر على باله في خضم الأحداث اليومية السريعة. ها هو يتذكر كم من النساء أحب، أو تخيل أنه أحبهن، وكم حصد الوهم بعد أن أمّل نفسه بهن.

ما بالها رجله تضخمت وأصبحت بحجم رجل فيل، أو هكذا يشعر بها، وكأنها ليست من أعضاءه؟ لا بد أن هذا الشعور سببه موجة جديدة من الحمى. إن صح تحليله هذا فإنه تعرّف إلى ما ينبئه بقدموها.

ها هو ذا اليوم الأول ينتصف ولم يفعل شيئاً. عندما يكون الوقت قصيرا يود الإنسان أن يفعل كل الأشياء. يحب، يكره، يمارس الحب، يأكل، يسافر، ينام، يسمع أغنية يحبها. آه، منذ فترة طويلة لم يستمع إلى الأغنية التي أحبها يوما ولا تزال تثير شجونه عندما يسمعها.

* * *

أنفاسه تتقطع، يستنشق الهواء بصعوبة، يلهث، إنه يعدو. العرق يتصبب منه غزيرا، هذا النهر أمامه كيف السبيل إلى عبوره؟ إنه لا يعرف العوم، يد ضخمة تمسكه، ثم ترفعه بسهولة كأنه لا وزن له، وترميه كحصاة صغيرة وسط الماء، وضحكات هستيرية تتعالى، إنه يغرق، يحس العطش يقطع أحشائه، يتلفت، لا سبيل لقطرة ماء في هذه الصحراء المترامية الأطراف، هذا الشيخ يضع كفه على رأسه ويتمتم بشيء، يلهيه عطشه عن فهم ما يتلوه، يريد من الشيخ ماء، تُحبس الكلمات في حنجرته. يجب أن يُعلم الشيخ بأي طريقة كانت بأنه يحتاج ماء يروي به ظمأه. يفتح أجفانا مثقلة. وجوه كثيرة تحيط به. هذه الوجوه ألفها، يحفظ تقاطيعها جيدا: «أريد ماء».

امتدت إليه كف أمه بقدر ماء. رفع بصره شاكرا، فلمح دموعها تسيل من عينيها الحزینتين. ها هي تبكي ثانية.

= «هل أنت بخير؟»

= «كم مضى علي وأنا على هذه الحالة؟»

= «ما يقرب من ساعة. كانت وطأة الحمى شديدة عليك. لا أدري كم كانت سترتفع درجة حرارتك بدون الماء المثلج الذي كنا نمسح به وجهك وأطرافك. لقد كنت تهذي بـ...».

= «ماذا قلت؟»

= «أشياء كثيرة، فالمحموم، كما تعلم، يـ...». الرعب أخذ منه كل مأخذ من أنه صرّح بما لا يمكن البوح به، وما كتّمه سنين طويلة خوفاً على نفسه وعلى آخرين، فسارع يسأل. يريد أن يتأكد من أنه لم يضر أحداً على الأقل.

= «ماذا قلت؟»

= «أشياء كثيرة فالمحموم يـ...». قاطعه بحدة، وبنبرة حازمة نمّت عن عصبية ونفاذ صبر من لعبة المماثلة التي يمارسها معه الآخر.

= «ماذا قلت؟»

= «كنت تردّد كلمات مثل الموت، والحب، والدكتور. معظم ما رددته لم يكن واضحاً أو مفهوماً. ذكرت أسماء بعضها نعرف أصحابها، والبعض الآخر مألوف وإن لم نلتق بهم، والآخرين لم نسمع بهم من قبل». تمتم بصوت خافت، لم يسمعه المقابل، وكأنه قصد ألا يفهم ما يقوله. «إذن كُشف الأمر».

الرعب بدأ ينبت في العيون المحيطة به، والتساؤل يمتد مع النظرات الموجهة إليه، والوجوه أُنعت بالوجوم، وآهة اختنقت في حنجرة أمه. فتح عينيه بسرعة ليمنع صرخة ظنّها ستطلقها. أتجه ببصره نحوها. نظراته تتوسل بها أن تؤجل البكاء والنحيب والعويل ولطم الخدود لأن الوقت لم يحن بعد لكل هذا. الوقت يمر بطيئاً، ثقيلاً، مرهقاً.

فجأة، نهض من سريره. هب الجميع نحوه. ابتسم، وبدأ وجهه يفقد شيئاً من شحوبه. وقف على قدميه، إنه يحس بالنشاط لولا مسحة التعب في

مفاصله. تمطى. ثئاب. تطلع إلى الوجوه التي لم تصدق ما ترى، وباغت آذانهم.
= «ألم أقل لكم ليس هناك من شيء ذي بال. ها أنا ذا أمامكم. أحس
بالجوع. أريد أن أكل شيئاً».

* * *

مرت الأيام الثلاثة الأولى ثقيلة، والحمى تمتص جل الساعات ولا تترك له
الفرصة ليفكر أو يمارس ما يود قبل رحيله. بدأ الوقت بين نوبات الحمى
يتقلص. بدت الصورة، للآخرين، قائمة، والخوف جعل الدموع تسيل بغير
ضابط، وأصبحت الأشياء تبعث الألم في النفوس. وبالنسبة إليه زادت قناعته
بتوقعات الطبيب. الموت القابع بباب غرفته منتظرا الساعة المحددة، جعله
يحنو عليهم بالنظرات، وبالكلمات التي يسمح له وعيه بترديدها بين فترات
الحمى. لعن في سره الحمى التي تحرمه النظر إلى من عاش معهم في هذه
الدار وأحبهم وأحبوه.

= «اسمع، لا أعلم كيف ستحقق لي هذه الأمنية، ولكن لا بد لي من أن
أراها. وهذه خدمة لن أنساها لك».

كيف ينسى الميت؟ كل الناس تنسى إلا الموت. الموت يحفظ الجميل، والذكرى
و...».

= «ولكنها متزوجة و...»

قاطعه قائلاً بتذمر باد على نبرة صوته.

= «لست بوضع يسمح لي، ومعذرة، أن أستمع إلى ما أجبر على سماعه. إنك
الوحيد الذي دحض الشك باليقين، وتعرف ما تخبئه الأيام، بل ما أعلنته الأيام
عما ستحدثه. هذه رغبة رجل يعاني سكرات الموت.

طالما حدثته جدته عن سكرات الموت عندما كان صغيراً:

= «ملك الموت يزور من دنا أجله، ويبدأ عمله مستأصلاً الحياة من الجسد
مبتدئاً من الرجلين، وصاعداً شيئاً فشيئاً وصولاً إلى أنفه حيث تخرج الروح بعد

شهقة أخيرة».

لو كانت حية لسألها الساعة كيف عرفت هذه المعلومة؟ أجربت الموت سابقا؟ وضحك في سره بعد أن أحس بخدر مفاجئ يسري في أطرافه، وتساءل في سره: «هل بدأ ملك الموت عمله؟»

ذكر الموت بعث في نفسه الرغبة الجامحة في أشياء كثيرة لم يمارسها، وبعث في ثناياه الندم على أشياء كثيرة مارسها.

* * *

= «ستأتي يوم غد الساعة العاشرة صباحا، ولكنها لن تتأخر كثيرا. لقد ترددت كثيرا. أنت أدري بحراجة موقفها».

باغته الخبر. ماذا سيقول؟ كيف سيقابلها؟ وتزاحمت الأسئلة في رأسه الذي أثقلته الحمى. ود لو بقي في وعيه ساعة اللقاء. توصل الحمى في سره ألا تزوره غدا.

* * *

الدقائق تمر بثقل غريب لم يعتده.

= «أماه، ضعي الكرسي هنا قريبا من السرير... لا، لا، ابعديه قليلا... إلى اليمين قليلا...»

مد يده ليتأكد من أن المسافة مناسبة.

= «هلا أدنيه قليلا؟»

بعد أن حلق لحيته، وتعطر، بدا مشرق الوجه وإن لم يستطع أن يتخلص من توتره. عيناه لا تكادان تستقران على شيء. يتفحص للمرة العاشرة، المائة، كل شيء حوله ليتأكد من أن المقام يليق باستقبالها. يريد لكل شيء أن يشاركه الاحتفاء بها. نظر إلى ساعته مرة أخرى، ثم مد يده تحت الوسادة. تحسس الرزمة المودعة تحتها. لم يبق الكثير. لم تكن تتأخر عن مواعدها فيما سبق. إنه ينتظرها منذ ساعات طويلة. تحديدا هو ينتظرها منذ عصر أمس. منذ سماعه

خبر موافقتها على زيارته وهو ينتظر. منذ ذلك الحين والحمى لم تعاوده.
الحمى تزور اليأس، أما الممتلئ بالحياة فلا.

انتفض في فراشه وسرت القشعريرة في جسده وهو يسمع جرس الهاتف
ظنا منه أنه جرس الباب يعلن عن حضورها. ثوان مرت قبل أن يعرف أنها هي
من كانت تتصل وتعتذر عن تأخرها قليلا. إذن عرفت رقم هاتفه أخيرا. إذن
ستتصل به كثيرا قبل رحيله. في الماضي تمنى أن يكون عنده هاتف ليتصل بها
وتتصل به، وعندما جاءه الهاتف كان كل شيء بينهما قد انتهى.

فكرة مجنونة لمعت في ذهنه. ماذا لو مات وهو يحادثها في الهاتف.
سيطلب منها أن تتصل به يوميا في ساعة محددة. إذا زحف الموت إليه قبل
الموعد الذي سيتفق عليه معها سيقاومه. يستطيع أن يفعل ذلك. عنده سبب
للمقاومة قوي بما يكفي لأن يجعل من الموت شيئا ضعيفا. ربما يموت وهو
يحادثها هاتفيا.

انتفض قلبه في صدره وهو يسمع صوت الجرس. ارتجفت أطرافه. اضطرب،
وبحركة عصبية مسح العرق المتفصد على جبهته براحة يده. رأسه ساخن. أهى
الحمى عاودته من جديد؟ أفي هذه الساعة؟

سمع صوتها آت وهي تجتاز الممر الموصل إلى غرفته. اختلط صوتها بأصوات
أخرى. زاد اضطرابه. جف حلقه. صُلبت نظراته على الباب. مرت اللحظات
طويلة كسنين عجاف قبل أن يُظهرها الباب. استمرت في مسيرها باتجاه سريره.
استند على مرفقيه ليتخلص من رقدته. نظر إليها بنفس الدهول الذي نظرت
إليه. توقفت. تسيد الصمت. توقفت حركة الجميع. مد يده. تعلقت يده في
الهواء. استدارت إلى الوجوه تتوسل بنظراتها أن يرحموه من عذابه الذي تراه
في عينيه. نمت حركة من يد خلفها فهمها الجميع فانسحبوا خارجا.

لم يبق في الغرفة إلا هو وهي والصمت. استدارت نحوه ثانية. لا زالت يده
معلقة في الهواء. تقدمت نحوه. انحدرت دمعتان من عينيه. تركت كفها في

كفه. جلست إلى جانبه على حافة السرير. غرق في عينيها. سالت دمعته على خديه. أحست بقشعريرة سرت في كفيه. حبات العرق تناثرت على جبهته. أحست ببرودة كفه. احتقن وجهه. تصلبت شرايين رقبتة. مال على كفها. لثم راحتها. رفع رأسه ثانية. احمرت عيناه. ارتجفت شفتاه. أدنى رأسه منها. أراحه على صدرها. ضغط على كفها كمن يقاوم تمزق أحشائه. شهق. ارتخت يده. مال رأسه. خر على زندها.

عود الند مواعيد صدور الأعداد

العدد الفصلي 39 (شتاء 2026): 1 كانون الأول (ديسمبر) 2026

العدد الفصلي 40 (ربيع 2026): آذار (مارس) 2026

العدد الفصلي 41 (صيف 2026): 1 حزيران (يونيو) 2026

العدد الفصلي 38 (خريف 2026): 1 أيلول (سبتمبر) 2026

ترجمات: مؤسسة دولية تعلن رسميا وجود مجاعة في غزة

نصف مليون نسمة دخلوا مرحلة المجاعة

أدناه ترجمة للملخص التنفيذي للتقرير المتعلق بقطاع غزة الصادر عن لجنة المراجعة العالمية للتصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي التي تعرف اختصارا بالحروف اللاتينية (IPC). ترجمة عود الند. صدر التقرير صباح يوم الجمعة، 22 آب (أغسطس) 2025.

الاستنتاجات الرئيسية

استنتجت لجنة تقييم المجاعة (FRC) أن المرحلة الخامسة من المجاعة جارية الآن في محافظة غزة. إضافة إلى ذلك، تتوقع اللجنة أن يتم تجاوز عتبة المرحلة الخامسة في محافظتي دير البلح وخانيونس في الأسابيع القادمة. لأن هذه المجاعة بكاملها من صنع الإنسان، يمكن وقفها وعكس اتجاهها. وقت النقاش والتردد انتهى. المجاعة موجودة، وتنتشر بسرعة. يجب ألا يكون لدى أحد شك في أن هناك حاجة لرد فعل فوري وكبير. أي تأخير إضافي — ولو لأيام — سينتج عنه زيادة غير مقبولة بالمرة في عدد الوفيات الناتجة عن المجاعة.

سوف يزيد عدد الوفيات أضعافا مضاعفة إذا لم يتم تطبيق وقف إطلاق نار فوري للسماح بوصول المساعدات الإنسانية للجميع في قطاع غزة، وإذا لم تتم الإعادة الفورية لخدمات الصحة الأساسية، والتغذية، والماء والصرف الصحي والنظافة.

الملخص

يمثل هذا التقرير المرة الخامسة التي تم فيها استدعاء لجنة تقييم المجاعة (FRC) لمراجعة تحليل متعلق بحالة الأمن الغذائي والوضع التغذوي الحادين في قطاع غزة. لم يسبق للجنة قط أن اضطرت للعودة مرات عديدة إلى تقييم الأزمة نفسها. وهذا انعكاس صارخ ليس لاستمرار المعاناة فحسب، بل تكثيفها وانتشارها إلى أن بدأت المجاعة في الظهور.

بعد تحليل اللجنة السابق في مايو/أيار 2025، الذي توقع بلوغ ما يقرب من 500,000 نسمة، أي 22% من إجمالي السكان، المرحلة الخامسة من المجاعة، أي مرحلة الكارثة، وفق التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي، أصدرت اللجنة تحذيراً يوم 29 يوليو/تموز، سلط الضوء على التدهور المستمر في مجالات الأمن الغذائي، والوضع التغذوي، والصحة بين السكان في جميع أنحاء قطاع غزة. وأجرى فريق من وكالات عدة تحليلاً جديداً، بين 30 يوليو/تموز و4 أغسطس/آب 2025، وجد فيه ظروف مجاعة محتملة. لذا، طلب الفريق قيام اللجنة بمراجعة [تقييم]. الاستنتاجات الرئيسية التي توصلت إليها اللجنة لُخصت في الجدول رقم 1 [المنشور في التقرير. رابطته أدناه].

وجدت لجنة المراجعة تصنيفات فريق التحليل معقولة للفترة من 1 يوليو/تموز إلى 15 أغسطس/آب 2025، مشيرة إلى وجود مجاعة من مستوى المرحلة الخامسة في محافظة غزة، والمرحلة الرابعة من مستوى طوارئ في دير البلح وخان يونس. وجدت لجنة المراجعة أن شدة الظروف في شمال غزة مشابهة للوضع في محافظة غزة أو أسوأ منه. ولكن بالنظر إلى أن الأدلة المتعلقة بوضع السكان في تلك المنطقة محدودة، توصي اللجنة بعدم تحديد تصنيف للوضع في محافظة شمال غزة. ويجب اتخاذ خطوات عاجلة للسماح بإجراء تقييم إنساني كامل في هذه المحافظة.

تعتبر اللجنة أيضاً تصنيفات فريق التحليل لفترة التوقع من 16 أغسطس/آب إلى 30 سبتمبر/أيلول 2025 ببلوغ المرحلة الخامسة من المجاعة في محافظتي

دير البلح وخانيونس تصنيفات معقولة.

وتلاحظ اللجنة بقلق بالغ استمرار القتل واسع النطاق للمدنيين أثناء محاولتهم الوصول إلى شحنات الغذاء؛ والافتقار إلى التخطيط والتنفيذ والمراقبة لعمليات التوزيع التي تقوم بها مؤسسة غزة الإنسانية الخاصة. وتلاحظ اللجنة أن عمليات التوزيع التي تقوم بها هذه المؤسسة لا تنطبق عليها مواصفات المؤسسات التي تقدم مساعدات إنسانية. مع ذلك، أُخذت شحنات هذه المؤسسة في الاعتبار في عملية التقييم والتصنيف التي قامت بها اللجنة. تجدد اللجنة، بناء على الاستنتاجات التي توصلت إليها، دعوتها إلى عمل عاجل وشامل ومستدام لوضع نهاية سريعة للكارثة الإنسانية المتفاقمة والآخذة بالتوسع باطراد في قطاع غزة.

إن الدورات المستمرة من زيادة الوصول إلى المساعدة الإنسانية، ثم تقييده بقيود شديدة، إضافة إلى الفوارق الصارخة بين الفئات السكانية الضعيفة، تسفر عن تعريض الكثيرين لخطر الانهيار السريع لوضعهم الصحي والتغذوي. لا يجوز أن يوجه المجتمع الدولي اهتمامه نحو تحسينات هامشية قصيرة الأجل. حجم الأزمة يتطلب رد فعل مستدام وواسع النطاق. المعاناة الإنسانية منتشرة في قطاع غزة على نطاق واسع، ولا يزال قتل المدنيين الساعين إلى الحصول على الغذاء مستمرا.

هناك تزايد في التقارير التي تتحدث عن وفيات ذات صلة بسوء التغذية، وتشير إلى بدء انهيار الفئات الضعيفة في المجتمع. من المتوقع أن يزيد هذا النمط أولا بين الجماعات الضعيفة كالأطفال والمسنين ومن يعانون من أمراض مزمنة قبل أن ينتشر بين بقية السكان.

= = =

معلومات إضافية من عود الند عن تصنيفات المراحل الخمس:

التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي تصنيف علمي معترف بها عالميا لتحديد مدى انعدام الأمن الغذائي. هناك خمسة تصنيفات لدرجة انعدام

الأمن الغذائي، هي:

المرحلة الأولى: حد أدنى (minimal). من سمات هذه المرحلة: تكون العائلات قادرة على تلبية احتياجاتها الغذائية وغير الغذائية الأساسية دون اللجوء إلى حلول غير اعتيادية.

المرحلة الثانية: ضغوط (stressed). من سمات هذه المرحلة: تحصل العائلات على الغذاء الكافي لكن بصعوبة، وتضطر لتقليل النفقات الأساسية الأخرى (مثل التعليم أو الصحة) للبقاء على الحد الأدنى من الأمن الغذائي.

المرحلة الثالثة: أزمة (crisis). من سمات هذه المرحلة: تواجه العائلات نقصاً واضحاً في المواد الغذائية، ويتم اللجوء إلى حلول غير مستدامة (مثل بيع ما يملكون). تظهر حالات سوء تغذية حادة لدى الأطفال.

المرحلة الرابعة: طوارئ (emergency). من سمات هذه المرحلة: نقص كبير جداً في المواد الغذائية، مع ارتفاع كبير في معدلات سوء التغذية والوفيات. العائلات تفقد المقدرة على تطبيق حلول للتأقلم.

المرحلة الخامسة: مجاعة/كارثة (famine/catastrophe). من سمات هذه المرحلة: نقص شديد وخطير في الغذاء يؤدي إلى مجاعة جماعية، مع معدلات وفيات مرتفعة للغاية، وانحيار شبه كامل لقدرة العائلات على التكيف.

= = =

The Integrated Food Security Phase Classification (IPC)

Famine Review Committee (FRC)

= = =

نسخة كاملة من التقرير (بالإنجليزية) على الرابط التالي:

https://www.ipcinfo.org/fileadmin/user_upload/ipcinfo/docs/IPC_Famine_Review_Committee_Report_Gaza_Aug2025.pdf

ترجمات: مؤسسة دولية: المجاعة في السودان أيضا

ملايين يواجهون المجاعة في السودان

أدناه ترجمة لمقتطف من تقرير متعلق بالسودان صادر عن لجنة المراجعة العالمية للتصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي التي تعرف اختصارا بالحروف اللاتينية (IPC). ترجمة عود الند. صدر التقرير في 11 تموز (يوليو) 2025.

مع دخول الصراع [المسلح] في السودان عامه الثالث، تواجه البلاد واحدة من أشد الأزمات الإنسانية خطورة في العالم. فقد أدى الصراع إلى تشريد أكثر من 10 ملايين شخص، وزيادة حدة أزمة اقتصادية دامت طويلا، اتسمت بارتفاع أسعار المواد الغذائية، ودمرت خدمات المياه والصرف الصحي والصحة الأساسية، وكذلك الأسواق (1). ولا يزال النزاع الحاد يؤدي إلى تدهور أحوال الأمن الغذائي والصحة والتغذية إلى مستويات خطيرة في شمال دارفور وكردفان الكبرى. وفي الخرطوم والجزيرة، حيث خفت حدة الاشتباكات المباشرة، لا يزال الوضع شديدا الصعوبة نتيجة آثار الصراع، بما في ذلك بنية تحتية وخدمات أساسية مدمرة، واقتصاد محطم، وتفشٍ مستمر للكوليرا.

وتوقعت تحليلات التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي (IPC) التي نُشرت في ديسمبر 2024 أن 24.6 مليون شخص سيواجهون مستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي الحاد (المرحلة الثالثة أو أعلى من تصنيف IPC) حتى مايو 2025، بما في ذلك 638,000 شخص على الأقل في المرحلة الخامسة

(الكارثة)، إضافة إلى 8.1 مليون شخص في المرحلة الرابعة (الطوارئ) (2). ورصدت لجنة مراجعة المجاعة (FRC) وجود مجاعة في خمسة مخيمات/ مناطق في الفاشر وجبال النوبة الغربية، وتوقعت أن تمتد المجاعة إلى خمس مناطق إضافية في شمال دارفور بحلول مايو 2025. وتم رصد خطر المجاعة في 17 موقعًا آخر في جبال النوبة الوسطى، وجنوب وشرق وشمال دارفور، وولايتي الجزيرة والخرطوم (3؛ 4). ورصدت اللجنة خطر حدوث مجاعة في سبع عشرة منطقة أخرى في جبال النوبة الوسطى (5) (**).

ومن المتوقع أن تتفاقم أوضاع الأمن الغذائي والتغذية خلال موسم القحط (يوليو-سبتمبر 2025). وبتركّز القلق بشكل أكبر على الأهالي الذين يعيشون في المناطق المذكورة أعلاه وعلى النازحين داخليًا في جميع أنحاء البلاد. وعلى الرغم من التحسن في حصاد 2024 مقارنة بالعام الذي سبقه، في أجزاء من السودان، فإن الصراع عطلّ إنتاج الغذاء وتدفقات الإمداد في أجزاء أخرى. ولم يتمكن السكان النازحون في مناطق شمال دارفور وكردفان الكبرى التي أنهكتها الحرب، وكذلك العائدون في الخرطوم والجزيرة وسنار وولايات عديدة أخرى، من زراعة الغذاء ويعتمدون في المقام الأول على الأسواق، حيث قفزت أسعار المواد الغذائية الأساسية بنسبة 430% مقارنة بمستويات ما قبل الصراع. (6).

كذلك لا تزال أعمال العنف والقصف تعطلّ أنظمة إمداد المواد الغذائية وإمكانية الوصول إليها، كما يتضح من الهجوم على سوق مخيم أبو شوّك في الفاشر في 4 يونيو 2025.

إن النقص الشديد في التمويل يقوّض التوسع العاجل في المساعدة المطلوبة في البلاد. فعلى الرغم من بعض المكاسب في الوصول الإنساني للمساعدات خلال الأشهر الماضية، فإن القتال المستمر في كردفان ودارفور يعيق وصول المحتاجين إليها بشكل منتظم.

ومنذ مارس 2025، وصلت المساعدات الغذائية إلى ما متوسطه أربعة ملايين

نسمة شهريا، مع إعطاء الأولوية للمجتمعات والمناطق التي تواجه المجاعة، أو المعرضة لخطرها، أو التي تكون في المرحلة الرابعة (طوارئ).

ومع ذلك، فإن الدعم يظل غير كافٍ إلى حد كبير بشكل عام، بما في ذلك لـ 8.7 مليون نسمة يواجهون ظروف المرحلة الرابعة أو الخامسة من انعدام الأمن الغذائي. وأدى نقص التمويل إلى إغلاق مطابخ الإعاشة المجتمعية في الخرطوم والفاشر ومراكز حضرية أخرى. وأدى النزاع استنفد قدرة المجتمعات المحلية على دعم فئاتها الضعيفة.

وأشار أكثر من نصف 21 دراسةً مسحيةً للتغذية (SMART) أُجريت خلال موسمي الحصاد وما بعده، إلى وجود مستويات من سوء التغذية الحاد العام (GAM) تتوافق مع المرحلة الرابعة لسوء التغذية الحاد (حرجة) حسب تصنيف IPC، مع احتمال كبير لوجود جيوب سكانية تواجه حدة أعلى. وهذا مؤشر رئيسي على تفاقم الأزمة، ويثير مخاوف جادة بشأن التدهور المحتمل في سوء التغذية الحاد خلال ذروة موسم القحط المقبل، خاصة في المناطق التي تواجه المجاعة أو المعرضة لخطرها، حيث يتسبب نقص المواد الغذائية وتراجع خدمات الصحة والنظافة والصرف الصحي في تفشي وباء الكوليرا.

ولا تزال هذه الأزمة المتعمقة تشكل تهديداً جسيماً ومتزايداً لحياة الناس بشكل عام، والأطفال على وجه الخصوص. إن تعزيز التدخلات الإنسانية وتقديم الخدمات في مجالات الأمن الغذائي والمياه والصرف الصحي والنظافة (WASH)، والصحة، والتغذية —بما في ذلك من خلال النظم المحلية المجتمعية— أمر بالغ الأهمية لمعالجة الظروف الصعبة التي شهدناها في 2024، التي اتسمت بفجوات غذائية حادة، ومستويات مرتفعة من سوء التغذية الحاد، وفقدان الأرواح.

= = =

الهوامش

** لم تصادق الحكومة السودانية على التقرير.

- (1) IOM, Displacement Tracking Matrix – Sudan mobility update, 5 June 2025. <https://dtm.iom.int/reports/dtm-sudan-mobility-update-18?close=true>
- (2) IPC, Acute Food Insecurity Analysis in Sudan, 24 December 2024. https://www.ipcinfo.org/fileadmin/user_upload/ipcinfo/docs/IPC_Sudan_Acute_Food_Insecurity_Oct2024_May2025_Snapshot.pdf
- (3) IPC, Famine Review Committee Report on Sudan, 24 December 2024. https://www.ipcinfo.org/fileadmin/user_upload/ipcinfo/docs/IPC_Famine_Review_Committee_Report_Sudan_Dec2024.pdf
- (4) IPC, Acute Food Insecurity Analysis in Sudan, 24 December 2024. <https://www.ipcinfo.org/ipc-country-analysis/details-map/en/c/1159433/?iso3=SDN>
- (5) Throughout this report, Western Nuba mountains denomination refers to the following localities in South and West Kordofan: Lagowa, As Sunut, Habila and Dilling; while Central Nuba mountains, located in South Kordofan, refers to the following localities: Delami, Western Kadugli, Um Durein and Al Buram.
- (6) WFP, Market monitor (Extrapolation of the average national price of the local food basket), June 2025, March 2023.

نسخة كاملة من التقرير (بالإنجليزية) على الرابط التالي:

https://reliefweb.int/attachments/3b13ef5a-b356-4ec0-8507-4c658ef5f962/7.IPC_Alert_Sudan_July2025%201.pdf

رحيل المناضل عبد الجواد صالح

مناضل ملتصق بالشعب والأرض



انتقل إلى رحمته تعالى يوم السبت 23 آب (أغسطس) 2025 المناضل الفلسطيني، عبد الجواد صالح، عن عمر يناهز 94 عاما (1931-2025). كان المناضل الراحل رئيسا لبلدية البيرة قبل أن تبعده إسرائيل ومناضلين آخرين إلى الأردن عام 1973. انتقل إلى بيروت وأصبح عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني، وكان أيضا عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

من مؤلفاته: المشكلات الذاتية لمؤسسات التعليم العالي في الضفة الغربية وقطاع غزة (1982). الاحتلال الإسرائيلي وأثره على المؤسسات الثقافية والتربوية في فلسطين المحتلة (1985). يتوفر في الأرشيف الرقمي للمتحف الفلسطيني مجموعة من الوثائق والصور المتعلقة به ضمن أوراق عبد الجواد صالح (1955-1998)، ويمكن الاطلاع عليها باستخدام الرابط التالي:

https://palarchive.org/index.php/Detail/collections/223/lang/ar_PS

رحيل الفنان الموسيقار زياد الرحباني

ظاهرة موسيقية وسياسية منحازة للشعوب



الفنان زياد الرحباني

انتقل إلى رحمته تعالى الفنان اللبناني، زياد الرحباني، يوم السبت 26 تموز (يوليو) 2005 عن عمر يناهز تسعة وستين عاما. الموسيقار زياد هو نجل الفنانة فيروز وزوجها الفنان عاصي الرحباني الذي عرف مع أخيه منصور بالأخوين رحباني.

يمكن القول إن فيروز دخلت في مرحلة مختلفة من الغناء بأغان وألحان من إبداع زياد.

مع أن زياد نشأ في بيئة عائلية فنية شكلت ظاهرة فريدة في الموسيقى العربية، إلا أنه أيضا تحول إلى ظاهرة مستقلة موسيقيا وسياسيا. تنوعت اهتماماته، وشملت التعليق الإذاعي اللاذع على الأحداث أثناء الحرب الأهلية اللبنانية (شاركه في ذلك الفنان جان شمعون)، وكتابة المقالات الصحفية الساخرة، وكتابة مسرحيات غنائية والمشاركة في التمثيل فيها.

المسرحيات (غنائية وسياسية ساخرة)

سهرية، 1973

نزل السرور، 1975

بالنسبة لبكرا شو، 1978

فيلم أميركي طويل، 1980

شي فاشل، 1983

لولا فسحة الأمل، 1985

بخصوص الكرامة والشعب العنيد، 1986

البرامج الإذاعية

العقل زينة، إذاعة صوت الشعب، لبنان، 1976-1978.

بعدنا طيبين قول الله، إذاعة صوت الشعب، لبنان، 1980.

ظهور سينمائي

فيلم نهلة (1979). انتاج جزائري ولكن بمشاركة كبرى في التمثيل من فنانين لبنانيين فأحداثه تدور في لبنان في بدايات الحرب الأهلية.

رحيل الروائي صنع الله إبراهيم

الروائي الذي رفض الجائزة



انتقل إلى رحمته تعالى، الروائي المصري، صنع الله إبراهيم، يوم الأربعاء، 13 آب (أغسطس) 2025، عن عمر يناهز 88 عاما. لصنع الله إبراهيم مؤلفات عديدة معظمها روائي. إضافة إلى الشهرة من أعماله الأدبية، اشتهر أيضا برفضه جائزة الرواية العربية عام 2003 في الحفل الرسمي الذي أقامته وزارة الثقافة المصرية، وذلك احتجاجا على السياسات الداخلية والخارجية المصرية. أدناه عينة من أعماله.

= روايات

- تلك الرائحة (1966)، دار الآداب، بيروت.
- نجمة أغسطس (1974)، دار المستقبل العربي، القاهرة.
- اللجنة (1981)، دار المستقبل العربي، القاهرة.
- بيروت بيروت (1986)، دار المستقبل العربي، القاهرة.
- ذات (1992)، دار الهلال، القاهرة.
- شرف (1995)، دار المستقبل العربي، القاهرة.
- وردة (2000)، دار الهلال، القاهرة.

أمريكانلي (2003)، دار المستقبل العربي، القاهرة.
العمامة والقبعة (2008)، دار الشروق، القاهرة.
القصة رقم 13 (2011)، دار الشروق، القاهرة.
برلين 69 (2014)، دار الشروق، القاهرة.
== أعمال غير روائية ==
يوميات الواحات (2005)، دار الشروق، القاهرة.
مذكرات عن فترة سجنه السياسي في ستينيات القرن العشرين (1970؛
2019)، دار الشروق، القاهرة.
== رحلات ==
روسيا (1991)، دار الهلال، القاهرة. انطباعات من زيارة الاتحاد السوفيتي
قبل سنوات من انهياره.
==
رابط لقراءة مقتطف من رواية بيروت بيروت:

<https://www.oudnad.net/spip.php?article2638>

رابط لقراءة مقالة عن توظيف الواقع في الروايات، تشمل إشارة إلى بيروت بيروت:

<https://www.oudnad.net/spip.php?article1483>

مختارات: إحسان النمر

يوم استنجدت يافا بجبل النار

لماذا سُميت نابلس جبل النار؟



إحسان النمر: مؤرخ فلسطيني
مؤلف جبل نابلس والبلقاء

أدناه مقتطف من كتاب للمؤرخ
الفلسطيني إحسان النمر، عنوانه تاريخ
جبل نابلس والبلقاء، الصادر في عام 1938.
التوثيق الكامل في ختام المقتطف.

الهجوم على الإفرنسيين وحرقهم

استنجدت يافا بجبل نابلس، فخرج الشيخ
يوسف الواكد والشيخ محمود أبو عودة الجيوسي
بجموع بني صعب، وهاجموا الإفرنسيين في يافا،
فردتهم ميمنة الجيش الإفرنسي، فانسحبوا إلى
وادي عزون، وحاصرتهم هناك خمسة أيام.

ولما أوشكت ذخائرهم أن تنفذ، وصلهم حسن آغا النمر بجموعه، فانقسم
الإفرنسيون إلى قسمين: قسم انسحب إلى السهل، وقسم توارى في أحراش أول
وادي عزون، تاركين ذخائرهم، ليُطمِعوا بها العرب، فينشغلون بها ويختصمون
ويتحاربون كما كان يفعل عرب مصر.

إلا أن حسن آغا النمر فطن للمكيدة، فأطلق ورجاله النار في العتاد، فالتهب.
واحتترقت الذخائر، فاحتترقت معها الأحراش وأُحرق من فيها من الإفرنسيين وقد

أحيط بهم، فقتل النابلسيون من خرج منهم. وسمي جبل نابلس بعد ذلك بجبل النار. ولُقّب إبراهيم آغا النمر بسلطان جبل النار.

قتل البطل والقائد

هجم الإفرنسيون بعد ذلك لمساعدة إخوانهم، فاشتبكوا بالعرب. وقد تضايق العرب من فارس إفرنسي أظهر بطولة فائقة، فلجأ فرسانهم إلى مكيدة، فأركب اثنان منهم رديفا. ولما تبعهم البطل الإفرنسي، رمى الرديفان بأنفسهما إلى الأرض، فصار الإفرنسي بينهما وبين الفارسين فأطلقوا عليه النار من الأمام والخلف وقتلوه. وبعد قتله، ارتبك الإفرنسيون. وبعد الغروب وقف القتال.

وشاهد العرب في الليل حركة القائد دوماس أمام النار من نحاسة (1) الخوذة التي على رأسه. وكان بينهم رجل مدرب على الرماية، وهو عابد المريحة الشببتي (2)، فصوب بندقيته على رأس القائد وقتله، فانسحب الإفرنسيون مخذولين بعد أن أُحرق بعضهم، وقتل بطلهم وقائدهم، وكان قائدهم الجنرال نابليون بانتظارهم، فراحه ما أصابهم.

وقد أجاد شاعرنا العبقري المعاصر، الأستاذ إبراهيم (3) عبد الفتاح آغا طوقان، وصف هذا الموقف بقوله:

سائل بها عزون كيف تخضبت = = بدم الفرنجة قرب بطن الوادي
دعت الرجال فلم تكد حتى مشت = = همم إلى الهيجاء كالأطواد
ثم التقوا تحت السيوف وبينهم = = كأس الحتوف تقول هل من صادي
كسروا من النسر الكبير جناحه = = ذي التاج والأعلام والأجناد
تركوه يجمع في الشعب فلوله = = ويصب لعنته على القوَاد
كمين قاقون

سار حسن آغا النمر بمن معه ورابط في وادي الشعير ينتظر استدراج الفرنسيين إليه. وكانت فصيلة من عساكر الجزار ترابط في وادي قاقون. ولما وصل الجيش الإفرنسي، انسحبوا وبقي النابلسيون بقيادة محمد آغا النمر ومعه الصملة والعطاعة. ولما دخل الإفرنسيون الوادي بقيادة

نابليون، فاجأهم الكمين النابلسي واضطربهم على التقهقر إلى خارج الوادي لانتظار الميمنة، والسير بكامل جيشه. فانسحب الكمين إلى وادي الشعير مستندرجا الإفرنسيين إلى الوادي ليخلص من المدافع. إلا أن نابليون فطن للأمر، وأمر فصيلة من جيشه بالصعود على التلال للمحافظة على ساقطة الجيش ومؤخرته. وبذلك تمكن هو وجيشه من السير إلى الشمال.

ويقول نابليون إنه كسر عساكر الجزار. لكنه لا ينكر أن الكمين اضطره إلى الانسحاب وانتظار ميمنة جيشه، وأن الكمين حاول استدراجه إلى الوادي الشرقي، فتجنب اللحاق بهم، واكتفى بمناوشتهم عن التلال. ومثل هذا الاعتراف كافٍ من قائد كبير ن متعجرف كنابليون.

= = =

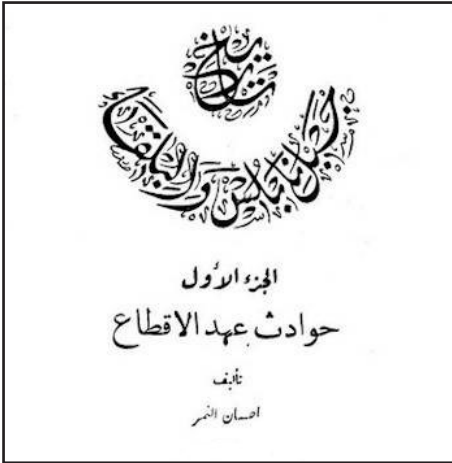
الهوامش في النص الأصلي

- (1) كان في أعلى الخوذة الإفرنسية أنبوبة كالإصبع تلمع أمام النار.
- (2) انقسمت عشيرة شبيطة إلى معدي ومريجة.
- (3) هو من ذرية أحمد آغا طوقان المار ذكره، وأحد الأدباء المعروفين في عصرنا، وهذه الأبيات من قصيدة قالها في نادي آل عبد الهادي.

= = =

المصدر:

إحسان النمر. تاريخ جبل نابلس والبلقاء. الجزء الأول: حوادث عهد الإقطاع. دمشق: مطبعة ابن زيدون، 1938. ص 161-163.



مختارات: طلال شتوي

زمن زياد: قديش كان في ناس

إنه عام 1991: «كيفك إنت؟»

لم يحدث أن انفصلت مغنية عن صوتها-ماضيها لتباشر اقتراباً جديداً إليه، بكل ما تحمله المقاربة الأولى من دهشة وكثافة، وبكل ما أنتجته التجربة المتراكمة من نضج وذكاء. باختصار، لم يحدث أن أعادت مغنية اكتشاف ذاتها بعد الوصول. ليس أي وصول. كان منتهى الوصول. ولكن، فعلتها فيروز. ولم يحدث أن دخل موسيقي في تجربة موسيقي آخر، بالأدوات الاستثنائية التي يمكن أن يدخل فيها ابن إلى أبيه، وبالشكل الذي اتصل به زياد بعاصي «مخربطاً»، محتضناً، مجدداً، بكل المطلوب من حرية وإبداع وجدارة ووفاء. لقد فعلها زياد.

بدون ادعاءات، زياد، مع فيروز، هو حالة متقدمة زمنياً لتجربة الأخوين رحباني، وهذا نادر الحدوث في الفن، كما في غيره، وكأما الأب هو طفولة الابن، وكأما عاصي هو بداية زياد.

قد يمرّ وقت طويل قبل أن تصل أغنية فيروز وزياد إلى مستويات من الانتشار السهل والمضمون. وهذا مؤسف. لا يخفف من هذا الأسف سوى أن زياد، الممتلك أدواته وقضيته، لن يسقط ولن يتراجع. سيرفض الذهاب إلى «المتوقع». سيكون معه «استثناء» مذهل هو صوت فيروز، ليس بوصفه أحد أجمل الأصوات في العالم فحسب، وإنما لأنه تحديداً الصوت الذي شارك في التشكيل الوجداني لأجيال عربية، ودخل تلقائياً في عواطف هذه الأجيال.

حين سيدق هذا الصوت أبواب الذاكرة، ستنتفتح له الأبواب، وسيخلق كمن يتنزه في ذاكرته، مع مفارقة نادرة، في أن هذه النزهة لن يطغى عليها الحنين، وإنما نضارة أخاذة وطراوة ماء جديد.

اللقاء بين فيروز وزياذ أصعب من إخضاعه لتفسيرات. وأعمق من مصادفة الأم والابن. قد نشبّه بروعة اللقاء بين فيروز وعاصي، لكن التشبيه يبقى قاصرا. زياذ حاول، بطريقته، تفسير بعض هذه الأمور، مستعينا بذاكرته، بطفولته، بعاصي ومنصور الرحباني. دخل إليهما وأعاد تشكيل تجربتهما بلغته. والبيت الذي كان يطل على جرود «انطلياس» صار يطل على شارع «الحمراء»، لكنه بقي بيت الرحباني.

زياذ الذي دأب على القول إن مشروعه الحقيقي هو مشروع موسيقي، وليس غنائيا أو مسرحيا، وإنه غير واثق إن كان سيتمكن في «عمر واحد» من إنجاز هذا المشروع. انتبه أن استقبال «كيفك إنت؟» بعد خمس سنوات على «معرفتي فيك» يؤسس لمرحلة جديدة. الأغنية التي حمل الألبوم اسمها، حققت، حسب أرقام الشركة المنتجة (ريلاكس إن)، المبيعات الأعلى في الأسواق المصرية. طبعاً. أرقام المبيعات في لبنان وسوريا وفلسطين بلغت ذروات غير مسبوقة.

«كيفك إنت؟» التي مرّت دون «مشاكل» وحققت انتشارا وقبولا واسعين، هي أغنية توجهها امرأة إلى حبيبها السابق، وهو حبيب سابق ومتزوج، وستقول له: «شو بدي بالبلاد»، و«الله يخلي الولاد»، المهم أنت. يستغرب زياذ كيف تقبل هذا الكلام أولئك الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها لأن فيروز قالت لحبيبها قبل خمس سنوات «خليك بالبيت، هلق حييت».

مع أغنيات «كيفك إنت؟» سينتبه زياذ وفيروز إلى حماسة الأجيال الشابة، لقد فتحا جغرافيا جديدة، خارج الحنين، باتجاه العصر.

الأصوات القليلة التي انتقدت العمل كانت فعليا تؤكد على انتماء هذا

العمل إلى العصر. جورج جرداق، [الشاعر] اللبناني الوحيد الذي غنت له أم كلثوم رائعتها «هذه ليلتي»، قال إنه لم يحب الواقعية المسرفة في الأغاني الجديدة لفيروز، وإن ما كل ما يُقال في الحياة يصلح للغناء. آخرون تحدّثوا عن «سهولة موسيقية»، وعن «مغالطة» في سعي زياد لتقديم الصورة العبثية لفيروز الجديدة.

بالمقابل، خرجت أصوات لتقول إن زياد أعاد فيروز إلى واجهة العصر. ريمون جبارة، غير المعجب بمسرح زياد من ناحية الإخراج، اختصر الموضوع بعبارة واحدة: «زياد أخرج فيروز من القرن التاسع عشر وأدخلها في القرن العشرين». حتى منصور الرحباني، الذي يمكن أن نبرر له تحفظاته على التجربة، باعتبار أنه «نصف الأخوين» أخبرني أن زياد اسمعه الأغاني قبل صدورهما، وأنه توقف طويلاً عند أغنية «بتمرق علاي امرق» [تريد أن تمر عليّ (تزورني) مرّاً]، وتنبأً لزياد أنها أغنية «ستضرب» [تحقق نجاحاً كبيراً]. فعلياً، «كيفك إنت؟» هي التي ضربت.

كل هذا الأخذ والرد لن يهمله زياد، لكنه لن يتأثر به. يقول، بإدراك كامل، «إن الموقف المعارض على فيروز «الجديدة» لا شأن له بالفن. إنه موقف يتصل بالأخلاق. دائماً الأخلاق تهبط على الرأي الجمعي، ويتطوع الناس للدفاع عنها، ويسقطون عليها نظريات وآراء في الفن، لا علاقة لها فعلياً بأي فن».

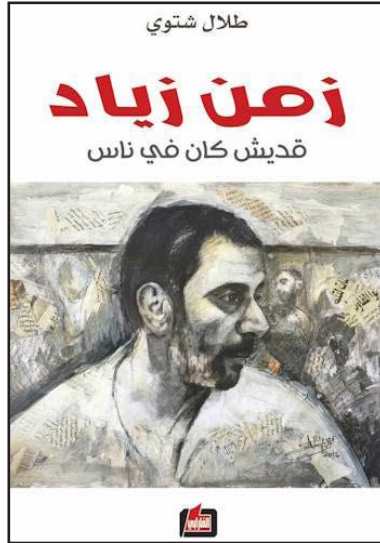
عام 1993، قلت له إن التجربة تحتاج إلى تكوين التراكم المطلوب، وإن إصدار أسطوانة كل خمس سنوات لا يساعد على ذلك. سيقول لي: «لا علاقة لي بالأمر». ولن أسأله أكثر. عملياً، قررت فيروز أن تقدّم تجربتها مع زياد «على جرعات»، بكثير من الانتقاء، وبكثير من التمهّل، ولكن أيضاً بقدر لا بأس به من الشجاعة والافتناع. ستغني فيلمون وهبي، ثم ستغني زكي ناصيف. ولن تهمل إحياء الأخوين رحباني، ما يعني أنها لن تغامر أكثر.

تجربة فيروز وزباد الموسيقية والغنائية المشتركة تحتاج إلى إعادة «تركيز»،
وإلى شيء من «العزل» عما أحاط بها، لكي يُعاد اكتشافها، ولكي تأخذ موقعها
الذي تستحقه. وهو ما ستفعله أجيال آتية.

= = =

شتوي، طلال. زمن زياد: قديش كان في ناس. بيروت: دار الفارابي، 2016.

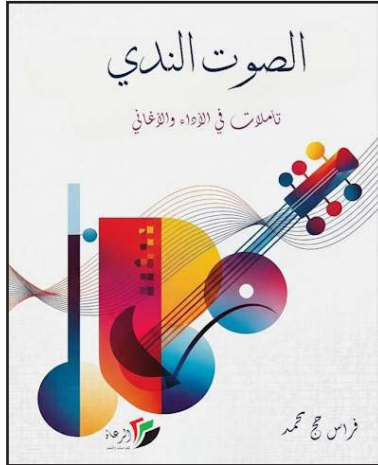
المفتطف أعلاه من الصفحات 63-66.



إصدارات جديدة: فراس حج محمد

الصوت النديّ: تأملات في الأداء والأغاني

صدر للشاعر والكاتب الفلسطيني، فراس حج محمد، كتاب جديد عنوانه الصوت النديّ: تأملات في الأداء والأغاني. الناشران: دار الرعاة للدراسات والنشر (رام الله) ودار جسور ثقافية (عمّان)، 2025. جاء في خبر التعريف بالكتاب أنه يشمل «موضوعات متعددة، من ذكريات الطفولة المرتبطة بالأغاني إلى نقد المناهج التعليمية، مع التركيز على أيقونات الغناء العربي مثل أم كلثوم وفيروز. الكتاب لا يقف عند تلك التأملات في الفن وحسب، بل يتعداها إلى محاولة ربط الغناء بالحياة اليومية، والهوية الثقافية، والسياق الاجتماعي والسياسي المضطرب في العالم العربي».



ناجي العلي: موقع وأرشيف

لوحات ما قبل الاغتيال عام 1987

تود هيئة تحرير مجلة «عود الند» الثقافية لفت أنظار محبي فنان الكاريكاتير الفلسطيني الراحل، ناجي العلي، وفنه تحديداً، وفن الكاريكاتير عموماً، إلى أرشيف رقمي مفتوح يوثق لوحات ثلاثة أشهر قبل اغتياله عام 1987. يتميز الموقع بنشره اللوحات مع خلفية موجزة لموضوع اللوحة، مما يساعد على الإلمام بخلفية الحدث الذي أوحى لناجي العلي برسم اللوحة.

رابط الأرشيف/الموقع: <https://www.oudnad.net/naji>

عن لوحة غلاف العدد 38

مجلة «عود الند» الثقافية. العدد الفصلي 38: خريف 2025. لوحة الغلاف: صورة زهرة معدلة باستخدام تطبيقات الذكاء الصناعي.

الصفحة الأخيرة: د. عدلي الهواري

كيسنجر والدبلوماسية وتوازن القوى

رحل وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، هنري كيسنجر، في شهر كانون الأول 2023، بعد أن عمّر 100 عام، ورافق الإعلان عن وفاته الكثير من الاهتمام الإعلامي، بين ناقد ومادح. تهدف هذه المقالة إلى التعريف بالأفكار التي بناءً عليها صاغ كيسنجر ونفذ سياسات أميركية في مناطق مختلفة من العالم دفعت شعوباً ثمنا باهظا لها. وهذا التعريف بالأفكار معتمد على ما كتبه كيسنجر بنفسه في كتابه الضخم، «الدبلوماسية» الذي تزيد صفحاته عن 900 صفحة، وصدر في عام 1994.

كنت في عام 1995 قد كتبت مراجعة نقدية له، وهي لا تزال صالحة للحديث عن كيسنجر وأفكاره وأفعاله، ولا يدل على أنها كتبت في عام 1995 سوى بعض الإشارات إلى العراق والعقوبات التي فرضت عليه بعد غزوه الكويت عام 1990. وهذه الإشارات مفيدة أيضا لإيصال وجهة النظر التي لا ترى صفات أسطورية في كيسنجر، بل يتضح مما تمارسه الولايات المتحدة في العالم حتى وقتنا هذا أنه لا يختلف عمن سبقه وتلاه من سياسيين أميركيين. يشرح كيسنجر في كتابه «الدبلوماسية» رأيه الذي يتلخص في أن نظاما عالميا قائما على توازن القوى هو نظام أفضل لممارسة السياسة الخارجية، وتحقيق المصلحة الوطنية. ويدعم رأيه بأمثلة من التاريخ، وخاصة تاريخ أوروبا، حيث نشأ نظام توازن القوى.

قبل بدء مراجعة الكتاب بشيء من التفصيل، من الضروري إعطاء نبذة عن المؤلف.



كان هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي للرئيس ريتشارد نيكسون. وشغل هذا المنصب من كانون الثاني 1968 إلى تشرين الثاني 1975. ثم أصبح وزيرا للخارجية في الفترة من أيلول 1973 وحتى كانون الثاني 1977، وكان ذلك بعد أن أصبح جيرالد فورد الرئيس، خلفا لنيكسون الذي استقال بسبب فضيحة ووترغيت.

في تموز 1971، قام كيسنجر بزيارة سرية إلى الصين، حيث مهد الطريق لزيارة الرئيس نيكسون في شباط 1972، وهي أول زيارة يقوم بها رئيس أمريكي للصين. وهي زيارة قائمة على عدم التعامل مع الدول الشيوعية ككتلة واحدة. وكان أيضا المفاوض في محادثات السلام مع فيتنام الشمالية في باريس. وحصل كيسنجر ونظيره الفيتنامي، لو دوك ثو، على جائزة نوبل للسلام عام 1973. في سياق الشرق الأوسط، اشتهر كيسنجر بدبلوماسيته المكوكية في المنطقة بعد الحرب العربية-الإسرائيلية عام 1973. وأسفرت رحلاته المتكررة إلى مصر وسورية وإسرائيل عن اتفاقيتين لفض الاشتباك على الجبهة المصرية، وواحدة على الجبهة السورية.

كان كيسنجر أستاذا في جامعة هارفارد قبل انضمامه إلى إدارة نيكسون. وكان أكمل أطروحته للدكتوراه في الجامعة نفسها، وكان عنوانها: «عالم أعيد بناؤه: كاسلريه ومترنيخ واستعادة السلام، 1812-1822».

ييدي كيسنجر في بداية كتابه «الدبلوماسية» ملاحظة مفادها أنه في كل قرن تقريبا تظهر أمة جديدة لديها «القوة والإرادة والزخم الفكري والأخلاقي لصياغة النظام الدولي بأكمله وفقا لقيمها» (ص 17). ويشير إلى أنه في القرن السابع عشر كانت فرنسا هذه الأمة. وفي الثامن عشر كانت بريطانيا. وفي

القرن التاسع عشر كانت النمسا وألمانيا. وخلافا لهذه الدول، فإن الولايات المتحدة التي هيمنت على القرن العشرين، لم تمارس توازن القوى، وهو نظام لا يبقى كيسنجر شكاً في ذهن القارئ أنه معجب به. وهو يرى أن توازن القوى والمصلحة الوطنية وجهان لعملة واحدة.

يقارن كيسنجر المواقف الأميركية والأوروبية تجاه السياسة الخارجية فيقول إن الولايات المتحدة تأرجحت بين «موقفين متناقضين». الأول يتمثل في اعتبارها «منارة للديمقراطية» (ص 18)، وهو موقف يعبر عن وجهة نظر الانعزاليين. والموقف الثاني يتمثل في اعتبار الولايات المتحدة «داعية/محاربة» لنشر قيمها، وهو موقف يعبر عن وجهة نظر الذين يريدون أن تنخرط الولايات المتحدة في الشؤون الدولية.

من وجهة نظر كيسنجر، لم يكن الرؤساء الأميركيون يهتمون بمسألة توازن القوى وحسابات المصلحة الوطنية، باستثناء ثيودور روزفلت، وبعده ببضعة عقود ريتشارد نيكسون. ويقول إن ثيودور روزفلت هو الرئيس الوحيد الذي «عرّف عالم الولايات المتحدة تعريفاً كاملاً من ناحية المصلحة الوطنية، وحدد المصلحة الوطنية تحديداً شاملاً وفق توازن القوى» (ص 39). أما الرؤساء الآخرون، من ولسون ومن بعده، فقد تبنا موقفاً مثالياً تجاه العلاقات بين الدول (4، ص 52). ورغم الإشادة الكبيرة بهذه المثالية، يشير كيسنجر إلى نواقص المواقف المبنية عليها عندما يبدأ بتحليل الكثير من الأوضاع والأزمات المعاصرة والقديمة.

في الفصول المتعلقة بالتاريخ الأوروبي، من السهل أن نلاحظ، كما لاحظ مالكوم رذرفورد، أن كيسنجر كان يميل إلى «رسم صورة مثالية للماضي» (راذرفورد، 1994). هناك أدلة كثيرة في الكتاب تدعم هذه الملاحظة. على سبيل المثال، في إشارة إلى بريطانيا في القرن التاسع عشر، كتب كيسنجر أن «توازن القوى مكّن بريطانيا من اجتياز القرن بحرب واحدة قصيرة نسبياً مع قوة كبرى أخرى - أي حرب القرم» (ص 102). ولذلك، فإن مايكل هوارد محق في قوله

إنه «ليس من الحكمة اعتبار تلك الفترة المحدودة من تاريخ العالم معيارا يمكن تطبيقه عالميا، ومحاولة إسقاط قيم تلك الفترة على عالم الغد الأكثر تنوعا، ولكنه أكثر ترابطا» (هاوارد، 1994، ص 138).

الكلمة المفضلة لدى كيسنجر في جميع فصول الكتاب هي الجغرافيا السياسية (جيو بوليتيكس). وهي تمثل شروط المرجعية في تقييم أي وضع في أي مكان في العالم. في كل فصل هناك إشارة أو اثنتين إلى «الحقائق والضرورات الجيو-سياسية»، وما شابه ذلك.

ينظر كيسنجر باستخدام منظار الجغرافيا السياسية إلى العديد من الأحداث والمواقف والأزمات، التي تعود إلى التاريخ الأوروبي في القرن السابع عشر، ثم ينتقل إلى الوقت الحاضر. لكن هذه المراجعة النقدية للكتاب تركز على الفصول المخصصة للتدخل الأميركي في فيتنام، وأزمة السويس عام 1956 [العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم قناة السويس]، والنظام العالمي الجديد.

فيتنام

نظرا لمشاركة كيسنجر المباشرة والشخصية في تقديم المشورة، وصياغة وتنفيذ السياسات الأميركية تجاه فيتنام، للفصلين المتعلقين بفيتنام أهمية خاصة. يتوقف كسينجر فيهما عن الكتابة كمراقب عن بعد ويبدأ استخدام «أنا»، التي قليلا ما استخدمت في الفصول الأخرى.

وصف كيسنجر سياسة الفتنة بأنها «سياسة معقدة»، ويكشف أنه كان لديه تحفظات عليها، عبر عنها في مذكرة إلى الرئيس نيكسون. ما يأتي أحد هذه التحفظات:

«سيصبح انسحاب القوات الأميركية للشعب مثل الفستق المملح: كلما زاد عدد القوات الأميركية العائدة إلى الوطن، ستنم المطالبة بالمزيد. وقد يؤدي ذلك في نهاية المطاف، عمليا، إلى مطالبات بانسحاب من جانب واحد، ربما خلال عام» (ص 682).

على الرغم من تحفظاته على فكرة الفتنة، التي كانت سلاح نيكسون

«السري» لإنهاء الحرب في فيتنام، إلا أن كيسنجر لم يعزز مذكرته بحديث مع الرئيس نيكسون. ولذا أصبحت الفتنة سياسة. وكانت إدارة نيكسون حلت ثلاثة خيارات لإنهاء الحرب في فيتنام:

1. الانسحاب من جانب واحد.
 2. مواجهة مع هانوي من خلال مجموعة من الضغوط العسكرية والسياسية.
 3. نقل تدريجي للمسؤولية عن الحرب إلى الفيتناميين الجنوبيين لتمكين القوات الأمريكية من الانسحاب تدريجياً (ص 679).
- ينتقد كيسنجر فكرة الانسحاب الأحادي الجانب من فيتنام، ويشمل في نقده حتى الأكاديميين عندما يقول: «تحت الضغط من طلابهم، اقترب العديد من الأساتذة أكثر فأكثر نحو المطالبة بانسحاب من جانب واحد غير مشروط» (ص 668).

الخيار المفضل لدى كيسنجر هو الخيار الثاني أعلاه، أي المواجهة مع هانوي. من الإجراءات العسكرية التي اعتمدت: الدفاع عن المراكز السكانية، ومهاجمة دروب هوشي منه في لاوس، وتدمير القواعد الفيتنامية الشمالية في كمبوديا، وتلغيم موانئ فيتنام الشمالية. ويعتقد كيسنجر أن هذه الإجراءات أرغمت هانوي في النهاية على تقديم تنازلات في محادثات السلام مع الولايات المتحدة في باريس. تجدر الإشارة إلى أن قرار قصف كمبوديا ظل سرا. وعندما انكشف، تحول إلى مصدر خلاف بين الكونجرس والرئيس نيكسون.

أزمة السويس

لا يجد القارئ في صفحات الفصل المخصص لهذه الأزمة ذرة تعاطف أو تفهم لموقف الرئيس المصري جمال عبد الناصر، أو للرغبة المشروعة للشعب المصري في ممارسة السيادة على قناة السويس، وهذه مسألة كانت بريطانيا وفرنسا مصرتين على عدم حدوثها، حتى لو تطلب الأمر حرباً على مصر.

الفصل حافل بنقد كيسنجر للأسلوب القانوني الذي تبناه الرئيس آيزنهاور ووزير الخارجية جون فوستر دالاس في التعامل مع الأزمة. ويشير في معرض

ذكره لرفض آيزنهاور استخدام القوة لحل النزاعات الدولية إلى أن آيزنهاور ناقض هذا المبدأ عندما تدخل في غواتيمالا ولبنان.

ومع أن كيسنجر يقول إنه لم يكن بوسع الولايات المتحدة أن تؤيد خطة بريطانية وفرنسا للاستيلاء على قناة السويس لأنها كانت خطة غير مدروسة، إلا أنه يتساءل: «هل خُدمت المصلحة الوطنية الأميركية حقاً بجعل اثنين من حلفاء الولايات المتحدة الذين لا يمكن الاستغناء عنهما يدركان بطريقة قاسية جداً أنهما فقدوا كل القدرة على القيام بعمل مستقل؟» (ص 544).

لكن كيسنجر يطرح بدائل كان يمكن لإدارة آيزنهاور أن تلجأ إليها، منها ربط التنديد ببريطانيا وفرنسا بالتنديد بالأفعال السوفيتية في هنغاريا، التي كانت في ذلك الوقت منتفضة على الهيمنة السوفيتية.

يعيب كيسنجر النهج القانوني والأخلاقي الذي تبناه آيزنهاور ودالاس وإخفاقهما في رؤية «الأساس الجيو-سياسي» للقضية (ص 544). وهو لا يتردد في شرح الكيفية التي كان يجب أن يتعامل بها مع هذه القضية: «كان ينبغي على أميركا أن تشارك بريطانيا وفرنسا فهمهما أن نوع القومية التي آمن بها ناصر تمثل عقبة كأداء أمام تطبيق سياسة شرق أوسطية بناءة [...] كان من الأفضل مواجهة عبد الناصر» (ص 533).

النظام العالمي الجديد

يتوقع كيسنجر ألا تتمكن الولايات المتحدة من البقاء كقوة كبرى وحيدة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. ويتوقع ظهور خمس قوى أخرى: أوروبا الموحدة، وروسيا، واليابان، والصين، والهند. لكنه بالنسبة إلى الأخيرة ليس جازماً في توقعه، بل يقول إنه محتمل. ويدعو كيسنجر إلى دمج روسيا في النظام الدولي الناشئ، ويقول: «النظام الجديد سيشبه نظام الدول الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أكثر مما سيشبه الأنماط الصارمة التي سادت أثناء الحرب الباردة» (ص 23).

في نهاية الكتاب، يعود كيسنجر إلى الموضوع ليقول إن «الشكل النهائي

[للنظام العالمي الجديد] لن يكون واضحاً إلا بعد مرور فترة طويلة من القرن الجديد» (ص 806). استنتاجاته في هذا الشأن ليست جازمة، لذا يكرر استخدام عبارة «حتى كتابة هذه السطور». لذا، فإن مايكل هوارد على صواب عندما يشير في مراجعته لكتاب كيسنجر «الدبلوماسية» أن الكتاب لا يقدم «أي إرشاد يعتد به لمن عليهم اختيار دربهم في النظام العالمي الجديد» (هاوارد، 1994، ص 140).

بعد تلخيص آراء كيسنجر حول المواضيع الثلاثة المذكورة أعلاه، أود الآن التعليق عليها.

في حديثه عن نظريته الجيو-سياسية للعالم، يعطي كيسنجر الانطباع، ويعززه مرارا وتكرارا، بأن مفهوم الجغرافيا السياسية لا تشوبه شائبة. لكن المشهد الذي يراه باستخدام منظار الجغرافيا السياسية مشوه كالمشاهد التي رآها ويراها وزراء خارجية ومستشارو أمن قومي قبله وبعده.

من وجهة نظر كيسنجر، ليس للدول الصغيرة الحق في اختيار نظامها السياسي الخاص، كما في حالة فيتنام. ولا يحق لها ممارسة سيادتها الكاملة، كما في حالة مصر عام 1956. الدول الصغيرة، من منظور كيسنجر، لا يمكن أن تستفيد من مواقعها الجيو-سياسية المهمة. الفوائد محجوزة لتمتع القوى الكبرى.

يقول كيسنجر إن «الإيثار يعتمد على تعريف من يمارسه» (ص 46). هذا القول ينطبق أيضا على تعريف الجغرافيا-السياسية. من وجهة نظره، لم يكن لفيتنام أهمية جيو-سياسية. لكن ثلاثة رؤساء أميركيين لم يروا الأمر كذلك. فالرئيس كندي، كما يقول كيسنجر، اعتبر فيتنام حلقة مهمة في الموقع الجيو-سياسي العام للولايات المتحدة [...] واعتقد هو وترومان وأيزنهاور أن منع حدوث نصر شيوعي مصلحة أميركية حيوية» (ص 648).

من وجهة نظر كيسنجر، النظرة المثالية التي اتسم بها الرئيس ولسون سبب حدوث «مصائب» (ص 809) كمصيبة فيتنام. ولكن الإنسان الساذج فقط

يصدق ادعاء كيسنجر أن الرؤساء الأميركيين كانت دوافعهم دائما نوعا من أنواع مثالية ولسون. المثالية التي تصرف وفقها رؤساء مختلفون غضت البصر عن أنظمة دكتاتورية ذات سجل إنساني مرعب في أميركا الجنوبية (وغيرها)، ولم تمنع الرئيس ريغان من مخالفة القانون الذي يمنعه من تقديم المعونة للكونتراز في نيكاراغوا.

كما أن هذه المثالية لم تمنع الرئيس بل كلينتون من إصدار أمر بقصف بغداد بالصواريخ بذريعة مؤامرة مزعومة لاغتيال الرئيس السابق جورج بوش الأب. أصابت الصواريخ فندقا ومناطق سكنية، مما أسفر عن مقتل مدنيين أبرياء. ومن ناحية ثانية، لم تدفع الحرب الدموية في البوسنة الرئيس كلينتون إلى اتخاذ إجراءات، على الرغم من كل الخطابات أثناء حملته الانتخابية للرئاسة. إضافة إلى ذلك، لم يكن الفيتناميون ضحايا مثالية أميركية ضلت هدفها، بل كانوا ضحايا القنابل والرصاص. يوهن كيسنجر نفسه إذا اعتقد أنه حقق انسحابا أميركيا مشرفا من فيتنام.

في كتاب الصحفي الأميركي، سيمور هيرش، عن سيرة كيسنجر يستنتج أن كيسنجر ونيكسون «لم يكتراثا بالثمن الإنساني لأفعالهما [...] المتمثل في القتلى والمصابين في فيتنام وكمبوديا—كما الحال في شيلي وبنغلادش وبيافرا والشرق الأوسط» (هيرش، 1983، ص 640).

وأخيرا، يجب ألا تمر إشارة كيسنجر إلى الأكاديميين دون تعليق عليها. وردت أول إشارة في بداية الكتاب، عندما يعبر عن رأي يثير الاستغراب الشديد: «لدى المحلل كل الحقائق [...] السياسي يجب أن يتصرف وفق تقييمات لا يمكن إثبات صحتها وقت التقييم» (ص 27).

هذا الرأي غير صحيح. لا يوجد محلل يجلس في مكتبه في جامعة ما أو مركز بحوث يمكن أن يكون لديه معلومات أكثر من السياسي الذي يتعامل مع وضع ما.

لا يتوفر لمحلل عادي تقارير استخباراتية، ومعلومات تجمعها طائرات

استطلاعية، وصور تلتقطها الأقمار الصناعية. في الواقع، يواجه المحلل مشكلة تتمثل في أن السياسي يمنع المحلل من الحصول على كل الحقائق، فالسياسيون يحيطون الوثائق بالسرية، ويفرضون قيوداً على كشف محتوياتها قبل مرور عشرين سنة أو أكثر. لذا، قد يضطر المحلل للانتظار كل هذا الوقت قبل أن يتبين إن كان تحليله صحيحاً أم لا.

أما السياسي مثل كيسنجر فقد كان لديه حقائق حول الوضع في فيتنام أكثر مما كان لدى أي أكاديمي في الولايات المتحدة. فإذا تبين خطأ تحليل الأكاديمي، فمن المحتمل أن السبب هو عدم توفر كل المعلومات لديه. أما عندما يخطئ السياسي في التحليل، فليس له عذر لأنه كان لديه معلومات أكثر من أي أحد آخر.

لتوضيح نقطتي هذه، أود أن أشير إلى مثال متعلق برولف إيكوس، المسؤول عن نزع أسلحة العراق، فهو كان يصر على الحصول على معلومات من العراق عن الشركات التي تعامل معها في سياق جهوده لصنع أسلحة دمار شامل قبل غزو الكويت عام 1990.

مثل موقف كيسنجر تجاه التعامل مع الوضع في فيتنام، لم يكن إيكوس يفتقر إلى أي معلومات تمكنه من اتخاذ القرار الصحيح، بل كان يستخدم ذريعة نقص المعلومات تطبيقاً لسياسة تحبذها الولايات المتحدة وبريطانيا، وهما دولتان باعتا العراق معدات ومواد كانتا تعرفان أنه يمكن استخدامها لأغراض عسكرية.

لم يكن إيكوس، أو الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، بحاجة إلى هذه المعلومات، فهي لديها من قبل. إن السياسيين يخفون المعلومات عن الشعب عندما يناسبهم ذلك، ويكشفون عنها أيضاً عندما يناسبهم ذلك. وفي حالة العراق ومجلس الأمن، كان يتم «الكشف» عن معلومات لتبرير مواصلة فرض العقوبات كلما حانت المراجعة الدورية للعقوبات المفروضة على العراق. سيكون ضرباً من النفاق أن يلوم رولف إيكوس الأكاديميين

بعد عشرين عاما على انتقاد موقفه تجاه العراق، مثلما كان ضربا من النفاق أن ينتقد كيسنجر الأكاديميين لعدم مشاهدة الأمور في فيتنام وخارجها كما شاهدها كيسنجر.

سأعود إلى حديث كيسنجر عن نظام عالمي جديد لنرى إلى أي مدى صدقت توقعاته مع نهاية عام 2023، أي بعد مرور 23 سنة من القرن الحادي والعشرين.

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في عام 1990، تحدث الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عن نشوء نظام عالمي جديد. ومضى العقد الأخير من القرن العشرين والولايات المتحدة القطب الوحيد في العالم. وسارع البعض في الولايات المتحدة إلى الدعوة إلى جعل القرن الحادي والعشرين القرن الثاني من هيمنة الولايات المتحدة. وبرز ما عرف بتيار «المحافظين الجدد» الساعين لتحقيق هذه الغاية. ومعروف أن الولايات المتحدة تبذل قصارى جهدها لمنع الصين أو روسيا من التحول إلى قطب جديد يجعل العالم ثنائي القطب أو متعدد الأقطاب كما في الماضي.

محاولات منع الصين من التحول إلى قطب عالمي لم تكن باستخدام وسائل عسكرية، بل تركز على وضع قيود على انتشار التكنولوجيا الصينية في العالم. في حالة روسيا، سارع الغرب إلى تقديم عسكري غير محدود لأوكرانيا لإلحاق الهزيمة العسكرية بروسيا، إضافة إلى فرض عقوبات اقتصادية ومالية شاملة. وتبين بعد الحرب في أوكرانيا وحرب الإبادة التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة أن أوروبا الموحدة ضمن الاتحاد الأوروبي غير مرشحة لتكون قطبا عالميا له مصالح مختلفة عن الولايات المتحدة، ويسعى إلى تحقيقها من خلال توازن القوى. أما اليابان فلا توجد مؤشرات حتى الآن تدل أن لديها رغبة في التحول إلى قطب عالمي، والمحتمل أن تظل اليابان كما هي الآن بعيدة السعي للتحول إلى قطب عالمي، وتظل حليفا للولايات المتحدة.

وأما الهند فقد حصل تطور في مواقفها، فبعد أن كانت دولة من الدول

المؤسسة لحركة عدم الانحياز، ومؤيدة للقضية الفلسطينية، انخرقت نخبتها السياسية نحو اليمين، وهم لن يمانعوا أن تتحول الهند إلى قطب عالمي. لكن أولويات الهند خاطئة، فهي لديها مشكلة مع الإسلام والمسلمين في الهند، وهي حريصة على عدم تسوية وضع كشمير بطريقة سلمية، ولا تمنع حصول حرب مع باكستان لكي تهزمها، كم حصل عندما دعمت انفصال باكستان الشرقية عن الغربية. وقد حرصت باكستان على امتلاك القنبلة النووية، ونجحت في ذلك، ولذا استفزاز الهند لباكستان لكي تجد ذريعة لشن حرب عليها يحتاج إلى تفكير عميق[1].

ولكن لو افترضنا أن العالم عاجلاً أم آجلاً تحول إلى عالم متعدد الأقطاب، هل سيكون هذا نظاماً عالمياً أفضل؟ الإجابة المختصرة، هي لا، لن يكون. لأن النظام الأحادي والثنائي القطب والمتعدد الأقطاب لا يرى في الدول الأضعف والأصغر سوى مجال لتحقيق مصالح للأقطاب على حساب شعوب وموارد الدول الأخرى، وهي الأغلبية الساحقة من دول العالم.

= = =

[1] في شهر أيار 2025، حصلت أزمة بين الهند وباكستان بعد عملية تمت في كشمير. وتطورت الأزمة إلى اشتباك مسلح كان أداء باكستان العسكري فيه أفضل من الهند. ووافق الطرفان على وقف لإطلاق النار بعد وساطة من الرئيس الأميركي، دونالد ترمب.

= = =

تفاصيل الكتاب:

كيسنجر، هنري. الدبلوماسية: تاريخ الدبلوماسية وتوازن القوى. نيويورك: سايمون وشوستر، 1994.

المصادر المذكورة في المراجعة أعلاه:

مالكوم راذرفورد، «التاريخ في الميزان»، فايننشال تايمز، 14 أيار 1994.

مايكل هاوارد، «العالم وفقا لهنري: من مترنيخ حتى أنا»، الشؤون الخارجية 73، العدد 3 (1994)، ص 138.

المصدر السابق، ص 140.

سيمور هيرش، كيسنجر: ثمن السلطة (لندن: فير وفير، 1983)، ص 640.

بالإنجليزية:

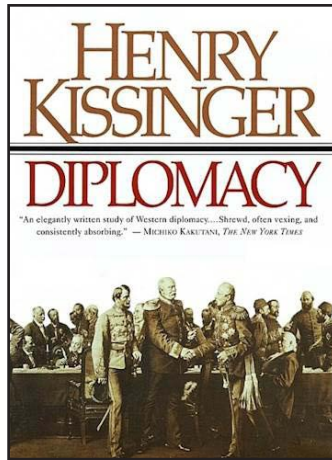
Kissinger, Henry. *Diplomacy: History of Diplomacy and the Balance of Power*. New York: Simon & Schuster, 1994.

Malcolm Rutherford, "History in the Balance," *Financial Times*, 14 May 1994.

Michael Howard, "The World According to Henry: From Metternich to Me," *Foreign Affairs* 73, no. 3 (1994): 138.

Michael Howard, "The World According to Henry: From Metternich to Me," *Foreign Affairs* 73, no. 3 (1994): 140.

Seymour Hersh, *Kissinger: The Price of Power* (London: Faber and Faber, 1983), 640.



عود الند في سطور

صدر العدد الأول من مجلة **عود الند** الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات متتالية.

حصلت **عود الند** من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ **عود الند** هو: 4212-ISSN 1756

شارك في **عود الند** كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.

بعد إتمام العام العاشر، وصدر 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.

ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له كتب بالإنجليزية، والعربية، من بينها: الديمقراطية والإسلام في الأردن؛ تقييم الديمقراطية في الأردن؛ بيروت 1982: اليوم «ي»؛ مقالات في السياسة الخارجية الأميركية؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ الحقيقة وأخواتها؛ المجلات الثقافية الرقمية.